بسم الله الرحمن الرحيم
أقدم هذه الهدية المتواضعة .
وكم يسعدني قبولها . وشكراً
جابر قميحة





• الكتاب:

ديوان «حسبكم الله ونعم الوكيل»

• شعر: د. جابر قميحة

• قياس الصفحة: ١٤×٢٠

• رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٧٣٤٥

• الترقيم الدولي: 977-367-107-0

مركز الإعلام العربي

ص. ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر

• هاتف: ٣٨٣٣٣٦١ / ٣٨٤٤٤٢٢ / ٠٠٢٠٢

• التوزيع: ٧٤٤٥٤٥٥ / ٠٠٢٠٢

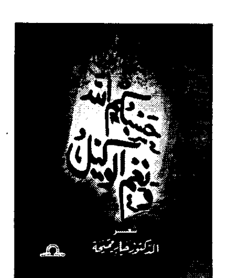
• فاكس: ٣٨٥١٧٥١ / ٠٠٢٠٢

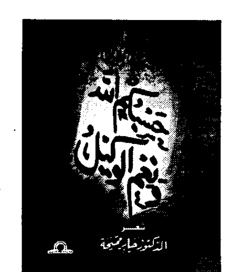
• الموقع على شبكة الإنترنت:

www.Resalah4u.com

• البريد الإليكتروني:

E .Mail:media-c@ie-eg.com





الإخراج الفني

خالد محسن

الغلاف

إبراهيم نور

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ

٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

على مدى زمنى يقترب من نصف قرن قدم **الدكتور جابر قميحة** – وما زال – ألوانًا متعددة من الشعر والنثر، عالج فيها كثيراً من القضايا والموضوعات الإنسانية والإسلامية، والقومية، والنقدية، والأدبية، فى مقالات، وبحوث مفصلة، وكتب متخصصة.

وفى مجال الإبداع كتب القصة والمسرحية النثرية، والمسرحية الشعرية، والقصيدة الغنائية. وقد ساعده على هذا التنويع الوافى: تمكنه العميق من اللغة العربية وعلومها، وأسرارها. زيادة على تمتعه بثقافة موسوعية، متعددة المصادر والمنابع: منها القديم التراثى الأصيل، ومنها الحديث السوىّ النافع المعتبر.

***

ويسر **«مركز الإعلام العربى»**، بل يسعده أن يقدم لشاعرنا الدكتور قميحة أحدث دواوينه، وهو «حسبكم الله ونعم الوكيل». وفى هذا الديوان تظهر شخصية الشاعر المؤمن بربه ودينه، ودعوته، وعروبته، المنتصر لقيم العدل والحرية، والعزة، والإباء، والشموخ.

وهذا اقتضاه أن يشن فى شعره حملات شعواء على الظالمين، والجبابرة المتألهين، والخونة المارقين، واللاعقين بالنفاق نعال السادة المتحكمين.

ولكننا لا نعدم – فى هذا الديوان – الجانب الآخر من شخصية شاعرنا، وهو وضوح النظرة، وبساطة الوجه، والاعتزاز بالأخوة والصداقة، والمجاملة القائمة على الود والحب، والتفكه النقى البرىء، بشعره الضاحك أو المبتسم. ولا تناقض بين جانبى الشخصية، ومن ثم لا تناقض بين هذين الطرحين الفنيين، بل هو التكامل كما يجب أن يكون فى الشخصية الناضجة السوية. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «روّحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت».

***

وعوداً على بدء نقول: يسعد **«مركز الإعلام العربى»** أن يقدم للقارئ العربى والمسلم ديوان «حسبكم الله ونعم الوكيل» لشاعرنا الإسلامى الكبير الدكتور جابر قميحة، داعين الله أن يكون دائماً حسبنا ونعم الوكيل.

مركز الإعلام العربى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمائه، وأشكره على آلائه، فى المنشط والمكره، وفى السراء والضراء. وأصلى وأسلم على نبينا ورسولنا وقدوتنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، محمد بن عبد الله، وآله أجمعين، أما بعد؛

فقد قدمت للمكتبة العربية من إنتاجى الشعرى عدداً من الدواوين هى: الزحف المدنس - لجهاد الأفغان أغنى - لله والحق وفلسطين - حديث عصرى إلى أبى أيوب الأنصارى - على هؤلاء بشعرى بكيت، ومسرحية شعرية عنوانها: محكمة الهزل العليا. زيادة على ديوان عنوانه: أسماء الله الحسنى، مترجماً عن الإنجليزية.

واليوم أقدم للقارئ العربى المسلم ديوانى الجديد (**حسبكم الله ونعم الوكيل**)، وهو عنوان إحدى قصائد الديوان، والمخاطب به فصيل من حملة العقيدة، آمنوا بربهم فزادهم الله هدى، فعز على الطاغية ألا يكونوا من حملة القماقم فى مواكب الزيف والذل والنفاق، فألقى بهم وراء الأسوار والقضبان والجدران وغيابات السجون.

والعنوان يحمل أساساً من الأسس الإيمانية الأصيلة: وهو أن الحسْب والكفاية لله دون غيره؛ لذلك قال تعالى: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن

اتبعك من المؤمنين﴾ (الأنفال: ٦٤)، أى حسبك الله، وهو حسب من اتبعك من المؤمنين، فهو حسبكم جميعًا، وليس الأمر كما فسره بعضهم بقولهم: المقصود: حسبك الله، وحسبك كذلك من اتبعك من المؤمنين.

لأن الحسب والكفاية - كما يدل الاستقراء القرآنى - لله وحده:

﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله..﴾ (الأنفال: ٦٢).

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل..﴾ (آل عمران: ١٧٣).

كذلك اختص الله «بالوكالة»، والوكيل - كما قال المفسرون - هو المفوَّض إليه الأمر كله. وفى القرآن الكريم:

﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ (الزمر: ٦٢).

﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ (النساء: ٨١).

﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ (الإسراء: ٦٥).

يقول الراغب الأصفهانى: أى: اكتف به أن يتولى أمرك وتتوكل عليه، ويتوكل لك.

ومقولة العنوان: «حسبكم الله ونعم الوكيل» تعكس كذلك بعداً نفسيًا عقديًا، وهو امتلاء نفس المؤمن - وخصوصًا المبتلى الصابر - بالطمأنينة والأمن والسلام؛ لأن معه الله الحسب والكفاية والوكيل.

أما البعد الاجتماعى فيتمثل فى مصداقية التأثير وإيجابيته؛ لأن مثل هذا الإنسان المؤمن السوى يكون قدوة ومحل ثقة عند الآخرين، ويكونون أكثر استجابة له، وتأسيًا به في المنشط والمكره والسراء والضراء.

وكل هذه المعانى والقيم يستشفها القارئ الواعى، بل يعايشها، لا فى القصيدة التى تحمل هذا العنوان فحسب، ولكن فى قصائد الديوان كلها؛ لأن الشعر الذى تحمله هذه الصفحات «شعر رسالى»، ينبض بروح العقيدة، ويتنفس آلام الأمة وآمالها، وحقائق القيم الإنسانية العليا، والنضال القومى والوطنى فى مفهومه السوى الصحيح، دفاعًا عن الدين والحق والحرية والعرض والأرض، والمستضعفين المظلومين من عباد الله.

وهذه «الرسالية»، وقد يسميها بعضهم «التزامًا» لا تحمل أى لون من ألوان القهر الذاتى، أو الإجبار الاجتماعى، أو الهادفية النفعية. إنما هى «الأرضية الخصبة القابلة» التى تنبت وتنمو فيها شجرة الإبداع، تلك الشجرة الطيبة التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ومن ثم يصبح الشاعر المسلم رساليًا اتساقًا مع نسيج «شخصيته الإيمانية»... ولو أراد غير ذلك ما استطاع.

* * *

وليس معنى «الرسالية» أن يكون الشاعر حادًا صارمًا يعطى كل اهتمامه للمضمون الفكرى، بل إن «الرسالية الشعرية» لا تتحقق إلا إذا توافر لها العناصر الآتية:

١ – إنسانية المضمون الفكرى، بعيداً عن المجانة والسقوط والاهتراء الخلقى.

٢ – البعد عن المباشرية والتقريرية، وإلا تحول الشعر إلى دروس وعظية.

٣ – الصدق الفنى وجمالية التصوير والتعبير.

وقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ قال: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة».

وبناء على هذا التقعيد تتسع «الرسالية الشعرية» لقصيدة من قصائد الجهاد، وقصيدة تصور نكبات الأمة أو آلام الذات، وقصيدة من القصائد الإخوانية فى التهانى والمداعبات... إلخ؛ لأن كل أولئك يمثل طبيعة النفس الإنسانية التى تتعدد انفعالاتها الوجدانية، ومناحيها التفكيرية، فى حدود المعقولية والقيم السوية.

* * *

وآمل أن يكون ديوانى هذا استجابة أمينة «للرسالية» بالمفهوم الذى عرضناه آنفًا. والله ولى التوفيق.

دكتور جابر قميحة

komeha@menanet.net

العنوان البريدى: ج. م. ع. الجيزة

بريد الأورمان. ص.ب: ٢٤١

عقيدة وجهـــاد وحرية

- المولد النبوى.
- حديث عصري إلى أبي أيوب.
- سرايبفو الدماء والأعراض.
- الهابطون والصاعدون.
- زيارة فوق العادة.
- ملحمة الخفافيش والعميان.
- آخر كلمات القراء الضرير
- عقدى مع الله.
- إلى الإخوان.. حسبكم الله ونعم الوكيل.
- صرخة من وراء الأسوار.
- وقال الحاظر المفترى للمحظور المظلوم.

المولد النبوى الشريف

بمناسبة المولد النبوى الشريف

هديتى إلى شباب الإسلام

لقد فاضت الآفاقُ نوراً وبهجةً
بمولد خيرِ الخلْقِ، أنعمْ بها ذِكْرى !
وعندى من الشعرِ الكريمِ حديقةٌ
زرَعْتُ بها الريحانَ والورْدَ والزهْرا
ورويتُها من عِطْرِ "طه" وبالضّحى
و"بالنورِ" و"الإخلاصِ" و"الفجر"والإسرا
لذلك أُهدِيكُمْ غوالى مشاعِرِى
وقد صغْتها من ماءِ قلبى لَكمْ شِعْرا

***

بُنىَّ - رعاكَ اللهُ - هاكَ هديتى
تَمَسَّكْ بأهدابِ الشريعةِ كى تَثْرى
فإن نُخَاعَ الدينِ سيفٌ.. ومصحفٌ
وعِلمٌ وعَزْمٌ لاهِبٌ يقْهَرُ القَهْرا..

فــإمَّــا تمسكْنا بـه كــان نَصْــرنـا
وإمـا هـجـرناه غَـدَوْنا ولا صِـفْـرا..
ويا فَخْرَنَا أن كـانَ فيـنا محـمـدٌ..
وأنْعِمْ به عـزاً، وأنعم به فَـخْـرا..
فـمـا حـقق النصـرَ الأبىَّ تَواكُـلاً
ولكن بعزْمٍ شامخٍ يسْحَقُ الصخْرا..
فكانَ بصـدرِ الجـيش تحت "عُـقـابه"
فتهوى رءوسُ الكفرِ من رُعبهاحَسْرَى
فـمـا منهمُ إلا صـريعُ هزيمـةٍ..
وناجٍ رَعيشُ القلبِ يجْتَنِبُ الأسْرَا
هو الأسـوةُ الشـمَّـاءُ، أنعِمْ بأُسْـوةٍ
هى البلسمُ الشـافى وأنعِمْ بِهِ طُهْرا
هو القـدوةُ العظمَى لأصحـابه الأُلَى
مَضَوْا يطلبـون المجدَ والأنْجُم الزُهْرَا
مشـاعلَ حق قـد أضـاءتْ بهـا الدُّنَا
وحـرَّقَت الطغيـانَ والذلَّ والكفـرا
ألم ترَ سـعـداً والمثنَّى.. وخـالدا
وحـمـزةَ والمقـدادَ، والفـتيـةَ الغُـرا
لهم رايةٌ صيـغت من المجْـدِ والتُّـقَى
وما نُسِجَتْ قزاً، ومـا صُبغَت تبْرا

مَضَوْا يمخُرون الصخرَ والبحرَ والمَدَى
فأصبحَ ما قدْ كانَ عُسْرًا بهمْ يُسْرا
ونصـرُهُمُ حقٌّ على الله فى الوغَى
ولم يعرفوا إلا لربهمُ.. فَـرًّا
فدكوا حصونَ البغى والظلمِ والهوى
وصاغُوا كتابَ العدلِ سْطرًا تلا سطرا
فما عادَ فوقَ الأرضِ للرومِ رايةٌ
وما عاد للفرسِ الجبابرِ من ذِكْرَى
وما عاد فيها قيصرُ الظلمِ والهوى
ولا رسْتُمُ الجبارُ فيها ولا كسْرى..

***

وفى عَالَم اليومِ الكئيبِ مبادئٌ
كمثلِ ضَوَارى الغابِ، بل إنها أضْرَى
تُخَرِبُ فى الأرواحِ كل نبيلةٍ
وتزرَعُ فيها الإفْكَ والإثْمَ والشـرّا
وتزعمُ أنَّا لو رجعنا لشرْعِنا
لكنا لظلْماتِ التخلفِ كالأسْرَى
فيا عَجَبًا للإفْكِ.. إذ ينسجُونَهُ
خُيوط ضلالٍ تورثُ الجَهْلَ والكفرا

وتُخمِدُ نورَ القلبِ والطهْرِ والنُّهَى
وتجعلُ خِصبَ الأرض من سُمِّها قَفْرا

***

فمن ذا الذى ساقَ الهداية للدُّنا
وأخرجها للنور من ظلمةٍ حَرَّى؟
ومن ذا الذى راعَى الهدايةَ منهجًا
وروحَ الإخاء الحق والسلْمَ والخيرا؟
ومن ذا الذى قد عَلَّم الغربَ بعدَما
قضى فى ظلام الجهلِ - من ضيْعةٍ - دهرا؟
هُمُ - يا بنى - المسلمونَ، وقد سَعَوْا
يجيبونَ داعى الله "باقْرَأْ" فيا بُشرى!
فسلْ عَنْهُم الكمياءَ والطبَّ ولْتَسَلْ
علومَ الأراضِى والحساباتِ والجَبْرا

***

فلما تَراخَيْنَا ونمنا تَسللُوا
ولَصُّوا معالينا، وباهُوا بها الغَيْرا
وما العِلْمُ إلا عِلمُنا غَيَّروا اسْمَهُ
ولكنَّنا نمنا وهُمْ واصلُوا السَّيْرا
فلما صحوْنا من كَرًى طالَ ليلُهُ
تَكشَّفَ أنَّ اللصَ قد غادرَ القَصْرا

يَردُّ علينا من بضاعتنا التى
تَنَهَّبهَا ليلاً، فَنُزْجِى لَه الشكْرا

ولكنه أبْقَى له من لُبابها..
جواهرهَا العظمى، وأعطى لنا القِشْرا

بُنَىَّ: وفى ذكرى الرسولِ ونورها
ذَكرتك. فلتُخْلصْ وَفاءَكَ للذكْرَى

وإنا - وقد شِبْنَا ولانَتْ عظامُنا
عَقَدْنا بك الآمَالَ، والنظرةَ البكْرا

بأن تبْعَثَ الأمجادَ بالعلم والتُّقَى
وبالفكرِ والإبداعِ تُدنى لَنَا الفَجْرا

لكى نستعيدَ اليومَ مجدَ جدودنا
ونبْنى على القرآنِ دولتَنا الكبْرَى

***

معانى الكلمات:

- تثرَى: تصير ثريا بالعمل الصالح.
- لاهب: قوى شديد.
- الأنْجُم الزُهْرَا: النجوم الساطعة.
- أضرى: أشد ضراوة ووحشية.
- النُّهَى: العقول جمع نُهْية.
- الدُّنا: جمع دنيا.
- الكرى: النوم.
- النظرة البكر: النظرة الآملة المتجددة

حديث عصرى

إلى أبى أيوب الأنصارى (•)

"ظل الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى (رضى الله عنه) يجاهد فى سبيل الله إلى أن دُفن فى استانبول. وقد ألقيْتُ هذه القصيدة يوم ٢٥/ ٨/ ١٩٩٣م فى مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية المنعقد فى استانبول" بتركيا.

يا أبا أيوبَ والإسلامُ قُربى وانْتسابُ
قد أتيناك ففى اللُّقيا اغتنامٌ واكتسابُ
نتملَّى أرض مجدٍ يزدهى فيها الخطابُ
يا كريمًا ضافَ خيرَ الرُّسْل، يا طبْتَ وطابوا
ناخت القصواءُ[1] فى رحبك يا نعْمَ الرحابُ
قد قصدناك ضيوفًا ولنا فيكمْ رغابُ[2]
نيِّراتُ القصْد لا منها طعامٌ أو شرابُ
أو هوى ليلى ولبنى، أو سعادٌ أو رَبابُ
إنما جئناك تحدُونا بطولاتٌ عُجابُ
ذكرياتٌ فى فمِ الدنيا هى المسْكُ المذَابُ
حين كنتم بلْسمًا[3] فى السلم صَفْوًا لا يُشاب[4]
ولكم فى ساحة النور بنودٌ وقبابُ

وقلوبٌ ملْؤها الرحمةُ والحبُّ اللبابُ

***

فإذا ما ظُلمَ البُرْهانُ أو غِيلَ [٥] الصوابُ
هجْتُمُ الهْولَ، فَللْهول زفيرٌ ولُهابُ
وإذا أنتم - حُماةَ الحقِّ- آسادٌ غضابُ
رفرفتْ من فوقهمْ فى ساحة الهول العُقَابُ [٦]
وخيولُ الله تمضِى، فهْيَ فى الساحِ الجَوابُ
مثلما السيلُ، لها فى الحَزْن والسهْل انصبابُ
ولها فى ساحة النصر ذهاب وإيابُ
وضُباحٌ وصهيلٌ، وصليلٌ وضِرابُ
وحِرابٌ ساعرات، فَلْتَقُولى يا حِرابُ
وسيوفٌ، وحتوفٌ، وزحوفٌ، لا انسحابُ
وهتافُ العزة القَعْساءِ يحدُوه السحابُ
والمنايا - لا الدنايا - هى للصحب الطِّلابُ
خالدٌ فيهم، وسعدٌ، والمثنى والحُبَابُ
مِنْ دماهمْ فى نواصى الخيل عطرٌ وخِضابُ
لم يكونوا كجيوش قطعوا الأرضَ وجابوا
ما هُمُو إلا شُمُوسٌ زاحفاتٌ أو هِضابُ
ليس يثنيهمْ عن الزحفِ جبالٌ أو عُبابُ

فـهُـمُـو للمـوت هَبُّـوا، ونِدا الله أجـابُوا
يـوم دكُّـوا الفـرسَ والـرومَ ومـا هـانُوا وهـابـوا
فـإذا الأعـداءُ - مـن رُعْبٍ - هبـاءٌ أو سـراب
إنـه المسلمُ - حـقًا - سـيفُ حقٍ أو شـهـابُ
فـى سـبـيل الله يحـيـا، لا نفـاقٌ لا كـذابُ
مـصـحفٍ يمـشى، عليـه من تقى الله ثيـابُ
سـيـفُـهُ - إن يَبغِ باغٍ - هـو للبـاغى عـتـابُ
هـكذا كـنـتم - أبـا أيـوبَ - والغـرُّ الصـحـابُ
درراً زانتْ جـبـينَ الـدهْرِ شـيبٌ وشـبـابُ
شـابَ فَـوْداكَ - من الدهـر - ومـا فى الشـيب عـابُ
لم يكـن يُحْـسَبُ بـالسنِّ مـشـيبٌ أو شـبـابُ
ليـسَ بالشـبـان من هـانُوا إذا حطَّت صـعـابُ
وإذا الشـيخُ تجلى فـهْـو فى الحـرب الشـهـابُ
ثـم طـال الأمـدُ المنكـودُ واهـتـزَّ الجَـنَـابُ
وغـدا بـينَ قـلوب القـوم والديـن حـجـابُ
ثـم حـل الوهْـنُ فـيـهـم وهـوى الدنـيـا طـلابُ

***

ثم جـئـنـاكَ وللشـعـرِ نشـيجٌ وانْتـحـابُ
بـقلوبٍ دامـيـاتٍ بـعْـدَ أن حلَّ المصـابُ

مـن ديار قـد تـغـشـاهـا ظلامٌ وضَـبَـابُ
فـالقـوانينُ انتـهـاكٌ وانتـهـاشٌ وانتـهـابُ
وسـجـونٌ وشـجـونٌ ودمـوعٌ واغـتـصـابُ
وأنا - المسْلِمَ - فى أرضى لِىَ العُـقـبى اغـترابُ
لم يَعُـد للبلبُلِ الغـرِّيدِ فى الدوْحِ رحـابُ
واسـتـقـرتْ فى رحـابِ الدوحِ بومٌ وغـرابُ
صَـوْتُهُ فـيـه نعـيبٌ ونعـيقٌ مـسـتطابُ
وعلى البُلبلِ أن يمـضى يُغَـشِّـيـه العـذابُ
شـاردَ الخطو، حـبـيسَ الشـجْـوِ تَقْليـه(٧) الشـعـابُ
ويـنادى الأُفْقَ: هـل للفـجـر مـن ليْلِكَ بـابُ؟
فـإذا الأصـداءُ همٌّ وضـيـاعٌ واكـتـئـابُ
إنه ليلٌ كـثـيفٌ مُـجـرمُ الظُلْمـات.. غـابُ
ذو عُـيـونٍ راصـداتٍ شَـرعُـهـا ظُفُـرٌ ونابُ
قُـوتُهـا الأعْـراضُ، أمَّـا دمُنا فَـهْـو الشـرابُ
وبخـورُ الزيفِ دينٌ والنفـاقـاتُ كـتـابُ
والمروءاتُ خـطـايـا، والـنَّـذالات صـوابُ
ويْحَ قلبى - يا أبا أيوبَ - قـد جُنَّ الحـسـابُ:
ألفُ مليـون بلا قـدْرٍ ولا حـتى الذبابُ!!
بل غُـثـاءٌ كـغُـثـاءِ السـيْلِ بالنفخِ يُذابُ

وقلوبٌ من هواء وحناياهُمْ خرابُ
يستوى منهم حُضورٌ فى حماها أو غيابُ
لا تسَلْهُمْ عن غِضابٍ، لم يَعُدْ فيهم غضاب
لا تَسِلْهُم عن عُضاب، ماتَ فى الغِمْدِ العُضابُ(٨)
والخيولُ الجردُ نامتْ فى مآقيها الذبابُ
غابت الصَّهْوَاتُ منها وتغشاها التُرابُ
أَنعَاجٌ ما أرى فى الساحِ أمْ خيْلٌ عِرابُ(٩)
أين سُوَّاسُك يا من كنتِ فى الهولِ تُهاب ؟
قال ثأرُ الله "لا تسألْ، فقد ولَّوا وذابوا
يا لَقَومى عن جهاد القوم قد صامُوا وتابوا
وأطاعُوا من أضلُّوهم وأَغْروهُمْ فخابُوا
"وأعِدُّوا ما استطعتم" قد تولاها الغيابُ
أم ترى الأنفالَ - وا ذلاه - لم يَحْوِ الكتابُ ؟
أوَ دينٌ غيرُ دينِ الله لحمَاهُ ارتيابُ ؟
وانقهارٌ وانهيارٌ وانصهارٌ واضطِراب ؟

***

أنا لم أَقْنطْ (١٠) ولكنْ ضَلَّ فى قومى الصوابُ
ويقينى أننى بينى وبين النصْر قابُ(١١)
إِنها سُنَّةُ ربِّى ليسَ تَفْنَى يا ذئابُ

قــد يغـيبُ الحقُّ يومًـا ثم يأتيـه الغـلابُ[١٢]
فـإذا الليلُ تمادى فـسـيـمْـحُـوهُ انْجـيـابُ[١٣]
ويشقُّ الأفْقَ سـيـفُ الـفـجـرِ والآى العـذابُ[١٤]
ويـعـودُ البـلـبـلُ الـغـرِّيـدُ، يا نِـعْـمَ الإيـابُ
ويـعـود الـدوح دَوْحًـا والروابـى والشِّـعـابُ

***

الهـوامش:

(١) القصواء: ناقة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

(٢) الرغاب: الرغبات و المقاصد.

(٣) البلسم: العلاج والدواء.

(٤) يشاب: يخلط ويعكر.

(٥) غيل: قتل غدرًا.

(٦) العُقاب: "بضم العين" اسم راية الرسول (صلى الله عليه وسلم).

(٧) تقليه: تبغضه.

(٨) العُضاب: القوى الشديد.

(٩) الخيل العراب: الأصيلة.

(١٠) القنوط: اليأس.

(١١) قاب: مسافة قصيرة.

(١٢) الغلاب: التغلب والنصر.

(١٣) انجياب: انقشاع وانتهاء.

(١٤) الآى العذاب: (بكسر الياء) الآياب العذبة.

سرايفو الدماء والأعراض

لا يمر شهر فى وقتنا الحاضر، إلا ويكتشف المسلمون مقابر جماعية تضم المئات، بل الآلاف من بقايا جثث للمسلمين بسبب المذابح التى أقامها لهم الصرب بوحشية لم يعرف لها العالم مثيلاً، وهذه القصيدة نظمتها فى بدايات المذابح التى أنزلها الصرب بالمسلمين.

جِـئْتُ والشـوقُ سـابقٌ لمسَـارِى
"لِسَـرايـيـفُـو" نُزهَةِ الأنْظارِ
لِغَـانيـهـا الراقـصـاتِ من الفِـتـ
ـنَةِ والسّـحـرِ والنّدى المِعْطار
لأعـيشَ الربيعَ يَزهُو اخْـتِـيـالاً
وشـروقًـا يفـيضُ بالأنوارِ
غـيـرَ أنِّى شـهـدْتُ فـيـهـا المنايا
كـالحـاتٍ فى أعْظُمٍ .. ودَمـارِ
ها هى الشـمسُ فى وِشـاحِ ظَلام
مِنْ دُخـانٍ مُـعَـرْبِـدٍ .. وغُـبَـارِ

ويُريكَ المَسَـــاءُ مـن شـــدةِ النَّا
رِ نهـــاراً .. يا لـهُ منْ نهـــارِ!!
بعـدَ أن عَـاثَت المجـاحِمُ فـيـهـا
وانفـجـارٌ يتْلوهُ ألفُ انْفـجـارِ
لـم يَعُـدْ غـيـرُ بـاطنِ الأرضِ للنَّا
سِ مَـلاذًا مـن ظَهـــرهـا الموَّار
فـإذا الغـائرُ العـمـيقُ من الأر
ضِ جـحـيمٌ من اللظَى والشَّرار
والديـارُ الْعَـمَـارُ أيـن أراها؟
هذه الأرضُ قَـدْ خَلَتْ مِنْ ديار
فـإذا مـا نَجَتْ من النـار دارٌ
لـم تُشـاهِـدْ بـالـدارِ مِنْ دَيَّارِ
والـريـاضُ الـغـنـاءُ ذابـت مـن الـنَّا
رِ وصَـارتْ لَظَىً على الأطيـارِ
رُبَّ سـارٍ بـالليـلِ داسَ قُلُوبًا
وعـيـونًا - في الأرضِ ذاتَ احْـورار
خـفـف الوَطْءَ - يا رعـاكَ - إلـهي -
ذا دمٌ مُـسْلمٌ كـمـا الأنْهـارِ

ورُؤوسٌ من الضحايا تهاوت
خالَطتْ مُحرقا من الأشجارِ
ورضيع يمتص حلمةَ ثدي
بينما الأم فحمت من نار
وكتاب بكف تلميذةٍ غنـ
ـت لمستقبلٍ بلا أوزار
أخرستها ومزقته الشظايا
فانمحى الحبر بالدم المدرارِ
وحمى الدين قد غدا مستباحًا
و"سراييفو" ما لها من ذمار
والمحاريبُ قد علاها ظلامٌ
بعدما أهدروا دم الأنوار
والصليبُ اللعينُ فى كل درب
حوله هالة من الأزهار
وعذارى لعرضهن نشيج
يُشهِد الفجرَ بالصراخ الجِهار
استباحت عفافه ودماه
عصبة الكفر والهوى الغدارِ

وصحا الفجر راثيًا طهر عرض
دامع نازفٍ من الأظفارِ
ونيوب الكلاب فى الجسد الغضْ
ضِ تمادت كمدية الجزار..
وكئوس من الدما مترعات
بأكف منهومة من سعارِ
لملمى يا ابنتى نزيف جراح
وبقايا من دمعك المنهارِ
وهشيمًا - بالأمس كان زهورًا -
وبقايا مهتوكةً من إزارِ
وحذاءً من إرث طفل شهيد
لم يمكنه رعبه من فرار
واقذفيها - بكل ما فيك من كر
ب وآلام - فى وجوه الكبار
فهمو سادة الخديعة والأمـ
ـر إليهم فى "مجلس التجار"
حيث حق المظلوم فيه هباء
والقرارُ الأخيرُ للشطارِ

فــإذا قــالوا غــيــر ذلك قــومى
من جــراح شــدتك فى إصـــرار
- ولتـــقـــولى الحق يمـــلأ برديـ
ـك شـعـاراً - أنعم بـه من شـعـار:
ألأنـى رضـــــيت بـاللـه ربـا ..
ورضـــيت الإســلام دينى ودارى
ولأنى اتبـــعت خـــيــر نبى
وتلوت القـــرآنَ فى الأســحـــار
واتخـذت العـفـاف درعًـا طهـوراً
وتحــشـمت بالتـــقى والوقـــارِ
ورفـضت الحـرام فى الحـانة السكـ
ـرى أبيع المتـــاعَ للسُـــمــــارِ
ألهــذا يبــاح عــرضى .. ودارى
وبلادى بشـــرعـــة الفـــجـــار؟
أين منا "محـمـد الفـاتح" (*) المغـ
ـوارُ يمـــضى بالفـــيلق الهـــدار
حين - يومًا - يقـود أسطوله الفذْ
ذَ ، ويومًـــا بجـــيـــشه الجـــرار

يرعب البغي حين يمضي فتهوى

شامخات القلاع والأسوار

رافعًا راية تسامت وعزت

إنها راية العلا.. والفخار

صوته الحق، والسيوفُ المواضِي

في نحور البلقان.. والبلغار

أينما سار هادنته الليالي

وانتصار أتاهُ تلو انتصارِ؟

وهوت قسطنطينة الكفر حسرى

بيد الفاتِح العظيم النّجَارِ

وتسامت مآذن الحق فيها ..

وتعالى الأذانُ في الأسحارِ

هل تهب الغداة يا "فاتح" الأمـ

ـس لقوم كانوا من الفرار

ثم صاروا في غيبة الأسْد أسدًا

فهمو اليومَ سادةُ الكُرَّار؟

وإذا ما خلا العرينُ من الآ

سادِ أضحى العرينُ سُكنَى الفار

وإذا غـــابت الـنـــسور تعـــالى
في حـمى الـنسـر تافـه الأطيـار

هل سمعت الغداة يا "فـاتح" للصر
ب ومـا جـمـعـوا من الأنصـار؟

أقسموا لن يكون في "البسْن والهر
سك" إســلام بل صليب العـار

ورمـــونا بعـــارهم ثم راحـــوا
يزدهي عـــارهم بوهـم ضـــار

ونســوا أن شـرهم إن يحـز في
يومــهم هذا جــولة في المســار

فـسيـهـوي غـداً زهوقًـا لعـينا
في هـوانٍ وذلـة وانكســـــار

فـالبـقـاء الأصيـل للحق مـهـمـا
طال بغي الدعيِّ .. والجـبـــار

والظلام الخسيس مـهـمـا تمادى
سـوف تطوِي مـداه شـمسُ النهـار

(*) محمد الفاتح: هو الخليفة العثماني الذي فتح هذه البلاد أواخر القرن الخامس عشر.

الهابطون والصاعدون

إلى السادة الكبار.. الهابطين الساقطين.. الذين هانوا.. واستسلموا.. وباعوا.. وسلموا.. فما ربحت تجارتهم.. وما كانوا مهتدين، وإلى الأبطال الصامدين الصاعدين الذين باعوا أنفسهم لله، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً. إلى هؤلاء ثم أولئك أقول:

أيها الهابطون من قمة المجْـ
ـد عليهم من الهوانِ غبارُ
قدْ عَداهمْ من اللهاثِ شُموخٌ
وإباء وحكمة ووقار
تُسْرِعون الخُطا كمثلِ قطيعٍ
مُلْهَبِ الظهرِ ساقهُ الجزَار
نحو مستنقع ذليلٍ حقيرٍ
مِلْؤُهُ الطينُ والهوى والخَسار
بَيدَ أنى أراكَمُو فى ابتهاجٍ
وعلى الوجه منكمُ استبشارُ

"ليس مستنقعًا، ولكن رياض
ملؤها الخيرُ والغنَى والثمارُ
حيثُ نرعَى أبناءَ عمٍّ أرادوا
أنْ يُراعَى سلامُنا والجوار"
قلتُ "بؤساكمُو، السلامُ التزامٌ
لا كلامٌ وخدعةٌ وضِرار
كيف للأرنب البرىء سلامٌ
حينَ يُمليه ثعلبٌ مكارٌ
مِنْ ضحاياه كرمها والرَّوابى
وثمارُ الزيتونِ.. والأطيار؟

***

لا تقولُوا "مُقَابلُ السلْمِ أرضٌ"
فعجيبٌ يكونُ للص دار!!
بينما المالكون فى التيه صَرْعَى
لا منامُ، لا عودةٌ، لا خيارُ
أينَ؟ لا أينَ، فالمَسَار سواد
ليْسَ إلا الأنيابُ والأظفار
لا تقولُوا "مقابلُ السلْم أرضٌ"
إنما الأرضُ عرضنا والذِّمارُ

هـى فــــينا دمـــاؤُنا وهوانا

وهْيَ نبضُ القلوب والأبصـــارُ

هى "وقفُ الإسلام" عاشتْ وعشنا

وعليــــهـــا من الإباءُ الغَـــارُ

هى وقفُ الإسلام نحمى حِماها

ولِمَنْ رَامَـــهـــا بســـوءٍ دمـــارُ

***

أيهـا الهـابطون من قــمــة المجـ

ـد، وحـاديكُمْ فى الهـوانِ العـارُ

إن مـا بِعْـتُـمُـو عـزيزٌ نفـيسٌ

بحـقـيـر "مـقـاسُه أمـتـارُ"

وعلى رأسِكم من اللص سـيف

"نَفِّـذُوا الأمْـرَ أو هـو البـتـار"

قلتُ "فليــــرحم الإلهُ حُنَيْنا"

فَلحُفيه قيمةُ.. واعتبارُ" !!

كـيفَ تهـوُون والجـدودُ خـيـارُ

من خِـيـارٍ نَمـتْـهُـمُـو أخْـيـارُ؟

كـيف تهـوُون والبطولاتُ فـيكمْ

من قــــديمٍ سطورُها أنوارُ؟

كـانَ في سِـفْـرِنا المضيء رجالٌ
وهُو اليـومَ كله أَصْفـارُ
كـانَ في سِـفْـرِنا بلالُ وسـعـدُ
والمثنى وجـعـفـرُ الطيـارُ
وصـهـيب وخـالد وسـعـيـد
وعليٌّ والصـفـوة الأطهـار
كـيف هنتم وفي الهـوان ضـيـاع
وانهـيـار وسُـبـة.. وبَوَارُ؟
كـيـف والدين أن تكون المنـايا
كـالحـات ولا يكون انحـدار؟
كـيف والدين أن تراق دمـانا
في سـمـاح ولا يمـوتُ النهـارُ؟
فـإذا مـا اسـتـبـيح للحق عـرض
فـهـي النـارُ واللـظى المـوار
أيهـا السـاقطونَ في حَـمْـأة الذل
حـرامُ فـغـيـرُكُم لا يضـارُ!!

***

انظروا "السـامري" يزهو سـعـيداً
ربه العـجْل والهـوى والنضـارُ

"وسلومَى" الرعناء ترقص جذلى

فيميل الأنطاع والسمارُ

همها الفذُ رأسُ "يحيى" عطاء

وليكن ما يكون أو ما يُثارُ

* * *

يا رسولَ الهدى "محمد" عفوا

لم يعُدْ فى حياتنا أعذارُ

أرضُ مسراك قد سباها الأعادى

وتولى أمورَها الفجار

يا رسولَ الجهادِ والحق إنا

سِفْرنا اليوم ذلة وانكسار

والهوانُ المرير يغشى رؤانا

وانتكاس الشعور فينا شعار

كيف نلقاك يا محمد يومًا

لا تُوارَى فى طيِّه أسرار؟

هل نُدارى وجوهَنا خشية العار؟

وهيهات فالحساب جهار

غير أن العزاء أن رجالاً

فى جنوب لبنان هبوا وثاروا

عــاهدوا الله أن يكونوا لهــيــبًــا

كي يســـود الأطهـــار والأحـــرار

إن تسل عن شــعــارهم فــهْــو نار

وصـــواريخ، يا لنعم الشــعـــار!!

زرعــوا الرعب في قلوب الأعــادي

فـــشـــوى ليلهم وعـــز النهـــار

لم تُجِــرْهم مــخــابئ وحــصــون

أو حـــمـــاهم من المنايا فـــرار

لم تســـعـــهم من المخـــاوف دار

فـــجـــفـــاهم منامـــهم والقـــرار

يا كــبـــار المقــام عــفــواً تنحَّــوْا

فـــبكم حل في البـــلاد العـــار

أنتـــمـــو بعـــدها لبـــوشٍ مطايا

ولشـــارونَ أضـــحـــوكـــةٌ واعـــتـــبـــار

وأهنتم شـــعـــوبكم فـــأُهنتم

وطواكم من العـــدو احـــتـــقـــار

من يهن يســـهل الهـــوانُ عليـــه

مـــا لجــــرح بميـــتٍ إيـــلامُ

فاتركوا الأمر للمقاوم يمضى
فبكفيه حلها والقرارُ
ليس فى "الشرم والكويز" نجاة
و"الطريق" اللعين فيه البوارُ
لا تظنوا "الكويز" يفتح بابًا
منه يأتى لنا الغنى المدرارُ
هو بابٌ لسيطرات الأعادى
فيه ذل وضيعة وخسارُ
وغداً تصبح الكنانة مرعى
يعتليها اليهودُ والفجار

***

يا كبار المقام عفواً تنحوا
فبكم حل بالبلاد الدمار
ورجال القسَّام نارٌ وعصف
بالجهاد المرير هبوا وثاروا
يجعلون الأنفاق بركان موت
وبأيديهمو سيهوى الجدارُ
يا رجال الجنوب من فتية الله
وألغامكم لظى وانتصار

أنتـمو و"الجـهـاد" والفـتـيـة الأحـ
ـرارُ من "حـمـاسٍ" عُـلاً وفـخـارُ
وأنادى الأطفـال فى سـاحـة الهـو
ل أيا أيهـا الصـغـار "الكبـارُ"
يا صـغـار الخليل والمسـجـد الأقـ
ـصى ونابلْسَ أنتـمـو الكُرارُ
أنتـمـو اليـوم بالجـهـاد كـبـار
بوركت كـفكم بهـا الأحـجـارُ
هى للهـدم.. والبناءِ أسـاس
ونداها النيـران والأنـوارُ
من ثـنايا الآلام جـئـتـم نذيراً
من صَـداهُ قـد زلزل الأشـرارُ
من ضـيـاء المحراب جئـتم بشـيـراً
سـوف يتلوه فـجـرُنا المِعْطارُ
وتعـودُ الطيـورُ للروض نَشْـوَى
وتعـودُ الديارُ.. والأمـصـارُ

***

زيارة فوق العادة للخيول العربية

ألقى د. جابر قميحة هذه القصيدة فى الندوة التى أقامتها اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان، وذلك لتكريم الشاعر، وحضرها لفيف من الشعراء والمثقفين. أما الباعث النفسى لنظم هذه القصيدة فكان على إثْر (ما قاله أحدهم لرئيس الوزراء الإسرائيلى: إن العرب قد يقطعون المفاوضات، فرد قائلاً: لن يفعلوا؛ لأنهم لا يملكون عن المفاوضات بديلاً. فكانت هذه القصيدة).

سعيتُ إليك كطيفٍ جريحٍ
كسيرَ الفؤاد حزينًا عليلا
سعيت يمزق خطوى الضياعُ
وما غيرُ شوقى إليك الدليلا
لكيما أعانق فيك الإباء
وأتلوَ سِفْر عُلاك الجليلا
وأستنشق العَبَق اليعْربىَّ
وعزمًا عنيدًا ومجدًا أثيلا

فـــينْداح يـأسى ويذوى أســـاى
ولكننى لم أجــدْكِ الخـيـــولا
ولكن بقـايا نعـاج .. عـجـافٍ
مــفككةَ العــزم تحْكى الطلولا
وفى مــقلتــيك ذبابٌ مــقــيمٌ
ليــمـتصَّ منك البــريقَ الأصـيــلا
ومـضــمـارك الفـذ أضـحى حـلالا
لمن يبـتـغـيــه، وقـد كـان غِـيــلا
أشـــاهد كلبًـــا عـــقـــوراً .. به
وذئبًـا حـقـيـراً .. وضـبـعًا هزيلا

***

فنامى ونامى، فــلا الفــجــرُ لاح
وليلك يبـــدو طويـلاً .. طويلا
وفى ســاحــة الهــول لا النقْعُ ثار
ولا "خـالد" جـاء يحـمى القـبـيـلا
ولا "سـعـدُ" قـام يشق الصـفـوفَ
ليــجــعل جــيش الأعــادى فلولا
ولا الرمحُ سُـــدد نحـــو النحـــور
ولا السيف عـاد حُـسامًا صـقـيلا

فلن تسمعى قعقعاتِ الرماح
ولن تسمعى لسيوفٍ صليلا
ولا تعجبى فَهُمُو .. كفنوها
بأغمادِ ذل أبَى أن يزولا
وأنَّى لك اليوم أن تنهضى
وإنى أراك كشيبًا مهيلا؟
ولو قد نهضتِ فما مِن غنَاءٍ
وسعيك ما عاد يُجدى فتيلا
وما قيمةُ السعى إن لم يحقق
إباءً وضربًا يُروِّى الغليلا

***

فنامى، فليس سوى أن تنامى
وما عدْتِ تمتلكين البديلا
ولا تحلمى بانطلاق جليل
يَرُودُ السنا والذُّرا والسهولا
تعيشين فيه ابتسامَ الصباح
وشمسُ الأصيلِ تناجى الخميلا
وعشبًا نديّا لذيذَ المذاق
وريحًا رخِيًّا وظلاً ظليلا

ولحنًا يجـــــود بـه فى الـربـيـع

خـريرُ مـيـاهٍ جـرت سلسـبـيـلا

يجـاوب فـيـه حـفـيفَ الغـصـون

وتغـريدَ حـسّـونهـا والهـديلا

***

وإياكِ أن تصـهلى فـالصـهـيلُ

سيـحـرمُك العشبَ عـرضًا وطولا

ولا تضْبـحى، فـالضّبـاحُ سيـغْدو

إذا مـا ضـبـحت .. دمًا أو عـويلا

هو الصـمتُ: أصـبح أعلى مـقامًا

وأجـدى مَـرامًـا وأقْـومَ قـيـلا

وإيـاك أن تحـلـمـى.. بـالإبـاء

فـإن الإباء .. غـدا مسـتحـيـلا

فـنامى وشُـدّى عليك الغطاء

كثيفًا.. كثيفًا.. ثقيلاً.. ثقيلاً

فـمَـنْ لـم ينم تاه منه الطريقُ

ونال من الكرب حظًا وبيـلاً

ولا تسـألينى: أين الدليل؟

فـقـد خـدع القـومُ عنك الدليـلا

ولا تســـألينى أين الســـبـــيل ؟

فـإنى أيضًــا ضـللتُ الســبـيــلا

فـــهـــذا زمـــان الـدعـيِّ الذى

به حَـرمَـوا الحـرَّ حـتى الرحـيـلا

وفـيـه اخـتـفت مكرُمـاتُ الرجـال

وأنـكـر كـلُّ خـلـيـلٍ خـلـيــــلا

وعـاش به الحـر يخـشى الحـيـاةَ

ويخـشى المـاتَ ويخـشى المقِـيـلا

ويخــشى أنامـلَه إنْ ســهـــا

فـتُــرديهِ غـدْراً بخنقٍ قـتـيــلا

***

حنـانـيـك نـامـي وشـــدى الـغـطـاء

ولـو كـــان نسـج الغـطـاء الوحــولا

فـــإنى رأيت الخـــزايا تســـود

وشـاهدت "عنتـر" عـبـداً ذليـلاً

وقـد مـات فى شـفـتـيـه القـصيـد

على جلده السـوط يهـوى مـهـولا

ينادَى عليـــه "أمن يشـــتـــريـه" ؟

ويدفع فــيـه البـخـيـس القليـلا

و"طارق شـــد عليـــه الوثاق

يعـذب في السـجن حتى يمـيـلا

وينكرَ مـا صـاغـه من فـتـوح

وحـقق فـيـهـا انـتـصـاراً جليـلا

ويحنيَ قـــامـــتَـــه .. للدعيِّ

ويتـــركَ "لذُرَيْق" كـيـمـا يصـولا

***

وشـاهدتُ "حـاتم" عند القـمـامـةِ

ينشـد فـيـهـا فـتـاتًا هزيلا

يغـمـسُـه في دمـوع الهـوان

وقـد كـان بـالفـضل بَرًّا وَصـولا

فـمِنْ قـبْلُ شُـدَّتْ إليـه الرحـالُ

ليُـقْـرِى الجيـاعَ، ويأسـو العليـلا

فـوا حـسـرتا لأمـيـر الكرام!!

وقـد بات يسـأل نذلاً بخـيـلا

***

فنامي، ونامي ، ونامي الغَـداةَ..

ونامي الليـالي، ونامي الأصـيـلا

فسُوأسك اليوم غرقى المنام
رأيتُ المخازى عليهم سُدولا
ذريهم نيامًا ، ففى نومهمْ ..
تنام المظالم .. عنا .. قليلاً
فهم إن صحَوا - لحظة - يُركبوا
ويُبدُوا لمن يَركبون .. القبولا
ولا يكتفون بهذا القبول ..
فيهدونه - بعدُ - شكرًا جزيلا
وليس لهم غيرُ أن يُركبوا ..
فقد سُلِبُوا عِرضَهم والعقولا
وراكبهم .. كان فى أرضنا ..
- وما زال - لصًا .. بغيًا .. دخيلاً
وسارَ بِهم يستبيحُ الحرام ..
مُذلاً بهم نجْدَنا .. والسهولا
يميلون فى ذلةٍ وانكسارٍ
إذا شاء - فى صَلَفٍ - أن يميلا
ولو شاء وجّههم .. لليمين
كذا لليسار .. عقورًا صئولا

تُبــارك كــفَّــاهُ أقــفــاءَهم

فــصــارتْ لكفــيــه تَحكى الطبــولا

ولو شــاء داســهــمــو بالنعــال

ولا يســتــحى فــوقــهــم أن يبــولا

نســوا مــشــهــدَ الرَّوْعِ فى النازلاتِ

وكــيــف يَسُلّون سـيــفًــا صــقــيــلا

يَــروْن الــتــنــازل طــبــعَ الــكــرام

وخـــوضَ المعـــاركِ غــدراً وبيــلا

***

خـيــولَ العــروبةِ، وا حــســرتاه!!

لقــد أصــبــح العــار خُلــقًــا نبــيــلا

ولو جُــمِعَ العـــارُ حــتى يُقــاسَ

بعــارهمــو كــان عــاراً ضـئــيــلا

أأبكى عليكِ؟ أأبكى عليــهــم؟

أأبكى علينــا البكاءَ العـــويلا؟

ولو شــئــتُ.. لن أســتــطيعَ البكاء

فــحــتى البكاء غــدا مــســتــحــيــلا

فـــقـــد نفـــدَ الدمع من مـــقـلتيَّ
ومـجـراهـمـا جَـفَّ عن أن يـسـيـلا
ومن يبْكِ صـــار عَـــدوَّ النـظام
و "مـــزدريا" .. لا يـراعـى الأصـــولا
وأمَّـــا الـنقـــابىّ - يا ويـلَهُ -
فـعَـدُّوهُ "مـخـتـرِقًـا" أو عـمـيـلا

* * *

خـيـولَ العـروبةِ، وا حـسـرتاه!!
أجـيـبـى: مـتى تملكين البـديلا؟
بعـهـدٍ.. يغـاير عـهـد الدعىِّ
نعـيـش بـه الانتـصـارَ الجليـلا
ونـهـتـفُ "يا خـيـلَ ربى اركـبى"
ويرجعُ خـالدُ يحـمى القـبـيـلا
و"سـعـد" يعـود يشقّ الصـفـوفَ
ويجـعـل جـيـش الأعـادى فلولا
ويسـحق سُـواسَك الخـائنين
ومن عـاش نذلاً جـبـانًا جَـهـولا
متى - يا خيولُ - متى - ترجعينَ
كما كنتِ - مِنْ قبلُ حقًا - خيولا؟

***

ملحمة الخفافيش والعميان

سقط الدربُ في الظلام المرير

فطواه الأسى، وما مِنْ مُجيرِ

إنه الليلُ طال غدراً وبغْيًا

داعرَ القلبِ، ما له مِنْ نظيرِ

لاعنًا وجهَهُ الكئيبَ سُهيْلٌ

والثريّا وكلُّ نجم زَهيرِ

والضفاف الخضراء ماجت بشوك

قاتل الوخز عابس قمطرير

أين يا ضفافُ ما كنتِ فيه

من رياضٍ تضمُّ كلَّ نضيرِ

قد نمَّاها الجمال، والسحرُ فيها

ساطعُ النور والشذا والعبيرِ

كنتِ للتائه المعذَّبِ أمْنًا
وحِمَى الجائع الطريدِ الكسيرِ
لم تعودى - كما عهدناكِ - عيداً
من لُحونٍ، ومنْ سنا وعطورِ

* * *

ويْح قلبى!! وأين نهرٌ عظيمٌ
حاتمىُّ العطاءِ بالموفورِ؟
كيفَ أمضى إليه؟ إنى أُعانى
عطشًا حارقًا كجمرِ السعيرِ
هل ضللتُ الطريق للنهر؟ ويْحى
إذْ أرى الهوْلَ صارخًا بالنذيرِ
فعلى النهرِ عاتياتُ الأفاعى
بينَ أنْيابها اغتيالُ المصيرِ
مَنْ يرُمْ قطرةً من النهر ثارتْ
بعُضال من السُّموم خطيرِ
كلما شبت العزائمُ مِنّا
أخرستْها رُؤى الفحيح الهصورِ
فتهاوتْ خُطى الشريف المعنَّى
نازفَ القلب ما لَه من نصيرِ

كـيـف نـمـضى والزيفُ دين وطبـعٌ
والـنفـاقُ الـخـسيـس جسْرُ العبـور؟
والأصـيـلُ الأصـيـلُ يحـيـا غـريبًـا
بـحـقـوقِ الإنـسـانِ غـيـرَ جـديـر
والـعـدوّ الـغـريبُ فـينا سـعـيـدٌ
ومـحـاطٌ بـالـحبِّ.. والـتـقـديـر
فـاخـتـلالُ المعيـارِ أضْحى صـوابًا
والـصـوابُ الـتّـمـامُ شـر الـشـرور
وأنـادى بـلابـلَ الـدوْحِ.. عَـلِّـى
أتـعـزَّى بـشـدْوِهـا الـمـسـحـور
فـلْـتُـجـيـبى بلابلَ الدوحِ صـبًّـا
ظامـئَ الـقـلـبِ والـهوى والـشـعور
لا أرى بـلـبـلاً عـلـى الدوْحِ يشـدو
بـلْ خـفـافـيـشَ فـى رياشِ الـصـقـور
بـاغـيـاتٍ تـعـيثُ دوْمًـا فـسـادًا
بـمـغـانـيـه فـى غـيـابِ الـنـسـور
ونـعـيـقُ الـغـربان يسْـرى لحُـونًـا
فـى جنـازاتِ فـكـرنـا الـمـنـحـور

والسّكارى تميلهم نشوةٌ حرَّ
ى للحنٍ .. ممزَّقٍ مخْمور
وارتدتْ لبدةَ الأسودِ كلابٌ
وقطيعُ الحميرِ .. جلدَ النمور
وذُرا الراسياتِ أمستْ مطايا
لحصَى الأرضِ والبغاثِ الحقير
والفقاقيعُ قد علَتْ قمةَ السيْ
لِ، وصارتْ أميرةً للبحورِ
والخرير المصدورُ فى الجدول الذّا
بلِ يطغَى على هزيم الهدير
والنقىُّ الشريف فى السجن يُلقىَ
بينما اللصُّ فى النعيم النضير
والخئون اللئيم يُدْعى أمينًا
والأمينُ النبيلُ جِدُّ خطير
غيرُ مستغْربٍ. فهذى أمورٌ
عكسها فتنةٌ وضدُّ المسير
فزمامُ الأمورِ فى كفِّ أعمى
أسودِ القلْب مستباحِ الضمير

والـعـمـى لـيـس فى الـعـيـون ولكـنْ

فى قـلوبٍ مطـمـوسـةٍ فـى الـصـدور

* * *

وأمـيــرُ الـعـمـيــان بـالإفْك يُدلــى

بـبـيــانٍ مـن قـصـرِه الـمـسـعــور

ابـتـداءً مـن نـشــرة الـيــوم حـتــى

تُـبـعـثَ الأرضُ أرضُـنـا لـلـنـشـور:

لـيـس "سـحـبـانُ" للبـيـان أمـيــرًا

فــأنـا لـلـبـيـان خـيـرُ أمـيــرِ

لا، ولا "خـالـد" بـسـيـفٍ عُـضـابٍ

سـلَّـه اللهُ عـاتـيـًا كـالـسـعـيـر

لا، ولا "طـارق" بـه قـد تـجـلـت

نـصــرةُ الـحـق والـهـدى والـنـور

وصـلاح الـديـن الـذى قـيـل عنــه

فـاتـح الـقـدس بـالـسـلام الجَـسـور

كـل هـذا رجـعـيـةٌ .. وادعــاءٌ

وانــسـحـاب إلى ظـلام الـعـصـور

فـاسـتـنـيـروا بحـكـمـتى ومـســارى

مـا هـدى الـشـعـبَ مـثـلُ عـقلٍ خـبـيـر

وأنا الفذُّ قد رصدتُ حياتي

وجهادي للنورِ والتنوير"

* * *

يا أميرَ العميان حسبك زوراً

قد تماديْتَ في هوى التزوير

فلتقلْ ما تشاء فالحقُّ أبْقى

لستَ في العيرِ أنت أوْ في النفير

فلقد عشتَ منكراً كلَّ حقٍّ

وجهولاً مُتوَّجًا.. بالغرور

غيرَ أني أقول قولة صدق

لا تبالي بسلطة أو أمير:

تعَسَتْ أمةٌ تراختْ فصارت

مرْكَبًا هيِّنًا لغِرٍّ.. ضريرِ

يدعي أنه البشيرُ بطبٍّ

قادرٍ، ناجعٍ، جديد، مثير

فإذا طِبّهُ خداعٌ.. وزورٌ

يجعل السهْل ألفَ ألف عسير

ينكرُ الأصلَ والجذورَ ويُبقى

في حِماهُ الملعونِ كل عَقور

وإذا أنكر الجذورَ نباتٌ

ماتَ في لفحةِ اللظى والهجير

* * *

وأراني أقول: مهلاً أفيقي

يا خفافيشُ للنذيرِ الأخير:

إن تحت الرماد نارًا تْوارتْ

سوفَ ترمي بجمرها المستطير

يا خفافيش قد مللْنا فخلّي

ما تبقى من عمْرِنا المقهور

يا خفافيش للخرائب عودى

ها هو الفجرُ قادمٌ بالبشير

ارجعي - لا سلمت - للقاع حسْرى

رجعةَ الخاسرِ الذليل الحقير

فالنسورُ التي طواها غيابٌ

عائداتٌ لوكرِها المهجور

والـظـلامٌ الـذى عـلا كـلَّ أفـــق
سـوفَ يُـمـحَى أمـامَ سـيـلِ الـنـور

معانى الكلمــات:

ـ المرير: الشديد القوى.

ـ سهيل والثريا: نجمان. قمطرير: شديد قوى.

ـ يَرُمْ: يطلب.

ـ العُضال: القاتل الذى لا شفاء منه.

ـ الفحيح: صوت الحيات.

ـ المُعنَّى (بتشديد النون): المجهد المتعب.

ـ صبًا: محبًا عاشقًا.

ـ الذُرا: القمم.

ـ البُغاث: ضعاف الطير.

ـ الهزيم: الصوت القوى، والهدير صوت البحر. سحبان: أفصح أهل عصره، وبه يضرب المثل فى الفصاحة.

ـ العُضاب: القوى القاطع.

ـ الغر: الساذج ضعيف الفهم.

***

آخر كلمات القرّاء الضرير

فى منطقة (تل الخرابنة) بجنوب مصر عُثِر سنة ١٩٢٨م فى قبوٍ على مجموعة من الأوراق البردية، وعددها (٥٢) مكتوبة بلغةٍ مركّبة من الهيروغليفية والآرامية القديمة، منسوبة إلى (حاموتاب) القرّاء الضرير، وأقدِّم ترجمةً شعرية للورقة رقم (٥٢).

(١)

يا أفق الوطن المسكين
ماذا فى غدك المكنون؟
دعنى أهتك عنك
ضباب كتابك حتى أشهد
يا لله!
إنى لا أشهد غير سوادٍ ملعون
وشبابٍ مهزوم النخوة
مهتوك العزم
وحطامٍ كالعصف الذاوى
من شجر التين المحروق

وغصونِ الزيتون البالى
وبقايا راكدةٍ من ماءٍ وعيون
وقوافلَ من فُلكٍ مشحون
تحمل للشعب المحروم
شحنة "بانجو" وهيروين

(٢)

إنى أسمع عصف الريح الصَّرصرْ
تعوى فى الوطن المفجوع
وتزأر
يَهْدم ويدمر
يجتاحُ اليابسَ والأخضر

(٣)

ما كانت هذى بالرؤيا
بل أشهدُ ذلك رأىَ العين
وأرى أيضًا بقرات سبعًا
عجفاوات سوداً
ينزفن دماءً وصديداً
يأكلن سمينات من
أبقارٍ.. ألفٍ.. بل مليونْ
وأرى كل سنابل أرض النهر
تجف.. وتيْبَسُ ثم تَهاوَى

لتكون طعامًا للدود المنكود

(٤)

وأرى الطوفانَ العارمِ قادمْ
بسيول عاتيةٍ سوداء
ليست من ماء
بل من قَيءٍ.. وصديدٍ
ودماءْ..
فإذا ما حُمَّ اليومُ الأسودُ
فاحذر أن تسأل - يا
ولدى الطيب - عن نوح
وسفينة نوحْ
أو عن جبلٍ يحميك
ويعْصمكَ من اللُجَجِ
السوداءِ.. الحمراءْ
أو عن قطعة ضوءٍ
تستهديها فى الظلماء
أو عن نوحٍ وسفينته
فسفينة نوحٍ..
صادرها "الأمنُ الليلى"
وزوارُ الفَجرْ
فى صمت.. فكوها..

باعوها لَوْحًا لوحا
مسماراً.. مسمارا
للملك "اليأجوج"
باعوها بالدولار.. وبالدينار
وبالويسكي المستورد والكفيار
وأجوس خلال الجوديّ..
فيا بؤس الجوديّ الأخضر
مَرسى نوحٍ.. وسفينته
وحمائمه.. وصحابته
جعلوه "منطقة حرة"
"منطقة الجودى الحرة
للتهليب.. وللتهريبْ"

(٥)

فلتلزم تابوت الصمت
ولتحذر أن تهتف
فى غدك المفجوع العانى
"يا يوسف فلتأت إلينا..
يا يوسف لا تبعد عنا"
يوسف صدِّيقٌ يا ولدى
ولذلك يأبى أن يتولى
أمرَ خزائنِ وطنٍ منهوبٍ

مطحونْ..
ليكون عليها خيرَ أمينْ
يوسف هاجر للصحراءْ
آثر أن يرجع للجبِّ المعزول
هناكْ
فخزائن هذا الوطنِ المطحونِ
تولاها حرَّاس الوطن
من العسكر
شطارِ المنسر

(٦)

وأرى فى سِفْر الوطنِ المكنونِ
الطفلَ الأخضرَ
نَبْتَ الوطنِ العانى
إما مفقوداً.. أو مغتصبا
أو موْءودا
إذ يأتى يومٌ يا ولدى..
يتشبث فيه بثدى الأم
يعتصر بفكيه الحلَمة
يستجديها نقطةَ لبنٍ
هاربةً فى أعماق الصدر
لكى تنقذه

من جوع ساعرْ
لكنَّ الحلمةَ لا تسعفه
إلا بنقاط من دمْ
يتلوها قيْءٌ وعدمْ
فالعسكر - فى نهم كافر -
امتصوا حتى لبن الأمِّ
فلما شبعوا
خنقوها فى ليلٍ دامٍ
أما الطفل..
فقد وأدوه بقاعِ النهرْ

(٧)

وأرى ألسنة الصفوة
من أحرار الناس ستُقطعْ
وعيون الأطهار ستُقلعْ
لتكون قلائد وعقودا
وأساور تُهدَى
"لسالومى"
راقصةِ الملكِ اليأجوجْ

(٨)

والكلمةْ..
يا ويلَ الكلمة

ستُراق دماها ليل نهارْ
كي تَروى بستان "سالومى"
ولِتَروىَ أرض "اليأجوج"
المنهوبة من "أرض النهرْ"

(٩)

وستشهد كل فجاج الأرض
تضيقُ.. تضيقُ بما رحُبت
حتى يتخذ الأحياءُ
قبورَ الأمواتِ مساكنْ
بل يغدو الموتَ - بلا ألمٍ -
حلمَ الأحلامْ..
يطلبه الناس صباح مساء
"بحق البؤس
وحق الذل
تعالَ.. تعال"
فلا يأتى
حتى الأيام - وصدقنى -
ستحاول أن تنتحر فلا تقدرْ
تنتحر لتخلص من عارٍ
موهومٍ.. كاذبْ
ألصقه فيها الأفاقون

الأفاكون
إذ قالوا :
"عار الأيام
ظلم الأيام
غدر الأيام"
مع أن الأيام من العار بريئةْ
والحقُّ أقول :
العار الداعر فيمن سبوا الأيام
فيمن شحنوا الزمن الناصعَ
بمخازيهم . . هربًا منها
فيمن قالوا :
ليس العدل أساس الملك
فيمن قالوا :
"إن الملكَ بديلُ العدل . . وفوق العدل"
فيمن تخذوا الجبن فضيلة
فيمن جعلوا الطهر جريمة
أما الصدق فشر رذيلة
فيمن قصفوا عنق الكلمة
وبغدر قد غالوا الشمس
وانتزعوا روح المستقبل
وانتهكوا الحاضر والأمسْ

(١٠)

وأرى "سالومَى" والمنسرْ
فى رقصة عُهْر مجنون
تسكرهم أنخابٌ شتَّى
من خمر ضارٍ.. ودماءْ
فى مأتم شعب مطحونْ
فى أرض النهر المحزونْ

(١١)

يا ولدى الطيب معذرةً
فالرؤية قد تاهتْ منى
والسحب الدامية السوداءْ
تمطر جمراً وسكاكينْ
تطوى كل حطام باقٍ
من ماء وعيونْ
وجذور التين أو الزيتون
وأحسُّ بنبضى الذاوى
فى قلبى المطعونْ
يأسره الصمت الأبدىُّ
فأعجزُ عن أن استقرِئَ
باقية باكية
من سِفْر الوطن المكنونْ

عقدي مع الله

بعد أن انتهى تعاقدى مع المملكة العربية السعودية، وأحلت على المعاش (التقاعد) سألنى صاحبى، إلى أين أنت ذاهب؟ وما عملك فيما تبقى من العمر؟ فكانت هذه القصيدة..

ويســـــألُ صـــــاحـــــبى أيًّا
نَ بعــــد العــــقــــدِ أو أيْنا؟
فـــقلتُ لصـــاحـــبى "كـــلاّ"
فـــــــــــلا أيـــانَ، أو أيـــنـــا
تـقـــــاعــــدْنا هـو القــــانو
نُ، لكـنْ مــــا تـقــــاعْــــدنا
فــعــقــدِى ســـارىَ المفــعــو
لِ، لا عــــامــــين، أو قَـــــرْنا
بــنـورِ الـلـه صُـــــــغْـنــاهُ
فــلــن يَـبـلَـى، ولــن يَـفـنَـى

ينصُّ على النضالِ المرِّ
للإسلام ما عشْنا
وغايتُنا رضاءُ اللـ
ـه، فهْو الفوزُ والحسنَى
وأرفضُ عيشةَ الأنكا
سِ، والخصيانِ والجبنا
وأرصدُ للعلا قلمي
فيسمو بالعلا شأنا
بإيمانٍ يَروُعُ القيْـ
ـدَ، والسجان والسجنا
وينسفُ صولةَ الطا
غوتِ، إنسًا كان أو جنّا
ويبنِي للألَى ظُلِموا
صروحًا صُلبةَ المبْنى
فأهتفُ "يا رسولَ اللـ
ـهِ هل يرضيك ما يُبنى؟"
فذا عقدي، وذا حِلفي
أصونُ بنودَه صوْنا

وأورثُـــه لأبـــنـــائـــى
لـقـــاصـــيـــهمْ وللأدْنى

* * *

وفـــيت بعـــقـــدىَ الميـــمـــو
نِ فـى عـــــزمٍ أَبَـى يُـثـنَـى
فـــأخـــرستُ الأُلى "مـــاءُوا"
"قِـطـاطًـا" تـزعـمُ الـفـنّـا
لقــد كــتـبـوا، وقــد نظـمـوا
فكـان نتـــاجُـــهم عَـــفْنا
ويـقْـطـر بـالـهُــــراء المرّ
فـى لـفـظٍ، وفـى مــــعـنـى
وكـــان العـــهنَ منفـــوشًـــا
ألا أبْـئِـس بـه عِــــهْـنـا !!
وداسـوا - كـيـفـمـا شـاءوا -
تُـراثَ الأمـــــة الأسْـنـى
وقـــالوا شـــعـــرنا الأبـقى
فـــلا نحـــتـــاجُـــهُ.. الوزْنا

مضَوْا.. لا نحوَ.. لا لغةً
ولا طعمًا، ولا لونًا
رأوْها - بالهَوى - قيدًا
يعوقُ الفنَّ.. بل سجْنا
فقلنا "ذي متاهتكم
بها تهْتمْ، وما تُهنا
هي الفوضَى كما شاءوا
وسمَّوْا ما عشَوْا فنا
فما منهُ سوى زبَدٍ
وما يستوجبُ اللعنا
فكيف يقوم إبداع
بغير ضوابطٍ تُقْنى؟
قواعدَ تحكمُ الفَنَّا..
فيمضى فى الورى لحنا
يشد القلبَ إذ يشدو
ويسْحرُنا إذا غنّى
وسر بقاء دنيانا..
ضوابطُ تحكمُ الكونا

وشـــتـــانَ "المُواء" المِسْـ
خُ، والألحـــانُ والمغْنَـى
ويـبـــقـى وَرْدُنـا وردًا
ويمـــضِـي "تبْنـهـمْ" تِبْنـا

* * *

وفـــيت بعـــقـــدى الميـــمـو
ن فـى عـــزم أبَـى يُـثْـنـى
فـــأرفضُ شـــاعـــرًا غِـــرًا
يـعـــادى الحـقَّ والـفـنـا
يبـــيع بيـــانه المفـــضـو
حَ مَـنْ بـعـطـائـه مَـنًّـا
إذا مـــا أبـرقَ الـديـنـا
رُ فـى آفـــاقِـــه جُنـا
وأقْـــعَى يـلـعقُ الأقـــدا
م والأذيـال مـــفـــتـنـا
ويكســو وجـــهَـــهُ عـــارًا
ويوسعُ عِـــرضَـــه طعنـا
وراح بـخـــسّـــةٍ يشـــدُو
مـــدائح كـــالدجَى..دُكْنـا

لمن خانوا، ومن خابوا
وكانوا للهوى عَوْنا
فسبَّحَ باسم قارونٍ
وهامانٍ.. وفرعونَا
وحوَّل ظلمَهم عدلاً
وصيَّر نارهم مَغْنَى
وصحراهُمْ، وجدْبَهمُو
حدائقَ في الورى غُنَّا
وعارهمُو غدا مجْداً
وشيْنهمو غدا زيْنا
وباطلُهمْ غدا حقًا
وقبحُهُمو غدا حُسْنا
وقال: "ظلامُهم فجْرٌ
يشع فيغمر الكونا
ولولاهمْ لأضحى العمـ
ـرُ مهزلة بلا معنى"
نفاقٌ لم يصنْ عِرضا
ولا دينا، ولا فنّا

وتـزيـيـف لـمـن يـرشـــــو
ويَقْــرِى الشــهــد والسْــمنا
فـــسُــحـــقًــا للذى افـــتنا
وســـحـــقًـــا للذى غنّى
فليس الفـن تـزييـــــفـــا
حـــقـــيـــرَ الأصل والمجْنى
وليس الفن ترفـــيـــهـــا
يـرود الـقـلـب كـىْ يَـهْـنـا
ولـــيــس الــفــن أن تــرنــو
إلـى الـديـنـار كـى تَـغْـنـى
وفـيـتُ بعـــقـــدىَ الميـــمـــو
ن فى عـــــزمٍ أبَـى يُـثْـنَـى
فـلـم أجـنـح إلـى هـنـدٍ
ولا لـــيـــلـــى ولا لــبُـــنـــى
فـــدربى دربُ حـــســـانٍ
به شـــعـــرى قــدْ اسْـــتَنَّا
وكـــان المنبعَ الصـــافى
لـفــنِّــى ديــنُــنــا الأسْــنــى

تخِـــذْتُ كـــتـــابه أصْـــلا
وسنّةَ أحــــمـــــدٍ رُكـنا
لأنسفَ للهـــوى حـــصنا
وأبنى للعـــلا حـــصْنا
بإيمـــان صـــداه الحقُّ
فـى قـلـبـى لـه سُـكْـنَـى
هــو الـلــهُ الــذى أغـنــى
هــو الـلــهُ الــذى أقْـنَـى
يقـــينا جـــاوز الأفْـــهـــا
م، والأوهـــامَ، والـــظـــنـــا

* * *

فـــإن تنهض بصـــوت الصـــدْ
قِ، تـســــألُنى "إلى أينَ؟"
أقـــلْ "إنـــى بـــدرب الـــلـــ
ـــه، مـــاضٍ رائعَ المجْـنَـى
بـــرأسٍ طـــاولَ المُـــزْنـــا
لغـــيـــرِ اللـهِ لا يُحْنَى
فـــذا عـــقْـــدى وذا حِلفى
أصـــونُ بنوده صـــوْنا

وأورثـــه لأبـــنـــائـــي
لقـــاصـــيـــهم . . ولـلأدْنَى
ومـن أوفى بـعـــهـــد اللـ
ـه نال النصـــر واســتــغـنى

من معاني الكلمات :

الأنكاس : الأنذال (جمع نكس) . .
يروع : يخيف
يثني : يضعف ويتراجع .
المواء : صوت القطط ، وأقصد شعراء الحداثة .
تقني : تحب ويحافظ عليها .
شتان : بعد ما بينهما .
والمسخ : المشوه القبيح .
غرا : أحمق طائش .
من : افتخر وتكبر عليه .
دكن : سوداء قبيحة .
الحدائق الغن والغناء : الجميلة ، كثيرة الأطيار .
الشين : القبح (ضد الزين) .
يقرى : يطعم .
المجنى : ما يجنى من الثمار أو العسل .
يهنا : يسعد ويهنا .

***

إلى الإخوان وراء القضبان:

حسبكم الله ونعم الوكيل

في الوقت الذى تعربد فيه إسرائيل كيفما تشاء. قتلاً وطرداً ونسفًا، وكذبًا، واختراقًا وغروراً وغدراً. وفى الوقت الذى تحتاج فيه الأمة إلى أبنائها الشرفاء، يلقى بأطهار مصر فى السجون بعد أن يحاكموا أمام محاكم عسكرية. وهذه القصيدة نشرت من قبل فى مجلة «المجتمع» الكويتية، العدد ١١٧٤ بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩٥م، ولم يقدر لها أن تنشر فى مصر أو بلد عربى – غير الكويت – إلا بعد ذلك بسنوات. وكان ضمن المحكوم عليهم آنذاك. د. عصام العريان، د. محمد حبيب، د. عبد المنعم أبو الفتوح، وقد أشارت إليهم القصيدة. وأنا أنظر إليها فأحس كأنى نظمتها اليوم، لذا أهديها. دون أن أغير فيها كلمة واحدة. إلى الإخوة النقابيين وراء الأسوار، والإخوة الذين اعتقلوا حديثًا، ومن المنتظر مثولهم أمام المحاكم العسكرية. وما أشبه الليلة بالبارحة.

يا حسرتَا يا مصرُ.. يا كنانهْ

للحرِّ كنت سلمَهُ .. أمانه

وكنت أمس موطنَ الأمانهْ

والحبِّ والسماح.. والصيانه

لا غدرَ.. لا تدجيلَ.. لا خيانه

واليومَ «راقصوك» في مكانه
وصفوةُ الأطهار في الإدانهْ
حيث السجون السود والمهانه
وا خجلتَا يا مصرُ.. يا كنانه!!

***

يا أيها الإخوان لا تراعوا
لن يفلح الكذَّاب.. والخدَّاعُ(١)
ولن يدوم في الدُّنَى متاعُ
والمؤمنُ الصدوق لا يراعُ
لأنه بربِّه شجاع
فليُسرف الطغاةُ والأنطاعُ
وليُحكِمُوا القيودَ ما استطاعوا

***

لو كنتمو من «جلدة» اليهودِ
أو في هوى فرعونَ والجنود
من زمرة النفاق والسجود
تسبيحكم للظالم الكنود(٢)
في ذلة كذلة العبيد
أو موكب التطبيع والتأييد

لزائف السلام والعهود
ومنطق التهريج والجحود
وساسةِ الضياع والتهويدِ
وبعتُمُ الأوطانَ.. بالنقودِ
ما كنتمُو فى السجن والقيود

***

لو كنتمو من شلة الحاناتِ
ما بين ساقى الخمر و«الصاجاتِ»
والكأس تتلو الكأس خذ وهاتِ
والطبل والمزمار واللذاتِ
ما صرتمو فى السجن كالجناةِ

***

لكنكم «إخوان مسلمونَ»
بالعزة الشمَّاء تُعرفونَ
«محمدَ الرسولَ» تتبعونَ
والمصحفَ الشريفَ ترفعونَ
وشرعةَ الجهاد تسلكون
لا الظالمَ الجبارَ ترهبونَ
ولا لمالِ الشعب سارقونَ

بـل فـى مـتـاع العـيـش زاهـدونَ
لـكـل ذا أنـتـم تـحـاكـمـونَ

***

فـى كـلِّ فـجّ ذكـركـم نـشـيـدُ
عـنـوانـهُ الإصـرارُ.. والـتـمـجـيـدُ
هـذا صـداه الـرائـع المجـيـدُ:
«مـحـمـد حـبـيـبُ» يا حـمـيـد(٣)
حـيـتـك أرض الـنـيـل والـصـعـيـدُ
والـشـيـب والـشـبـانُ والـولـيـدُ
والـفـكـر والإحـسـاسُ والـقـصـيـدُ
فـأنـت نـعـم الـصـامـدُ العـنـيـدُ
انـظـر: فـهـذا سِـفْـرنـا العـتـيـدُ
قـد قـالـهـا إمـامُـنـا الشـهـيـد:
«طـريـقـكـم بـيـضـاءُ لا تحـيـدُ
لـكـن عـلـيـهـا الـشـائـك الـكـئـود(٤)
وكـاره ونـاقـم حـقـودُ...
وظـالـم.. وغـادر جـحـودُ
والـسـجـنُ والـسـجـان والـقـيـودُ
فـلـتـحـذرُوا إيـاكـمُـو تحـيـدوا

لــو مــادت الأرض فــلا تميــدوا
ولتـصـبروا، ولتـثـبـتـوا تسـودوا
أو أنـت فـي سجلهـا شـهـيـدُ(٥)

***

«نـفـس عـصـام سـودت عـصـامـا
وعـلـمـتـه الـكـرَّ والإقـدامـا
وصـيـرتـه فـارسًـا هُـمـامـا
حـتـى عـلا، وجـاوز الأقـوامـا(٦)»
لـمـا رأى أخـلاقـهـم حُـطـامـا
والـظـلمَ في دروبـهـا ضـرامـا(٧)
نـادى بـصـوت أرعبَ الظُلامـا(٨)
رعـبًـا يُـريكـهـم ولا النّعـامَـا
ومـشـهـدًا يـسـتـحـضـر الأقـزامـا
«إنـا أتـخـذنـا نـهـجنـا الإسـلامـا»
وأحـمـدا زعـيـمـنـا الإمـامـا(٩)
ودربـنـا الإيـمـان والحـسـامـا
بـمـنـطـق لا يـعـرفُ الإحـجـامـا
والـمـوتَ في سـبـيـله مـرامـا(١٠)
فـلـن نـهـاب السـجنَ والإعـدامـا

***

«أبا الفتوح» شدة تزول
فلن ينال شمسكم أفولُ[١١]
وليلهم مسهَّد طويلُ
وظلمهم - والله - لا يطول
فللظلام دولة تدول[١٢]
لأنهم كثيرهم.. قليل
وأنتُمُو قليلكم.. يهولُ
ومعدن الأصيل لا يحولُ
وعن دروب الحق لا يميل
فالله نعم الحسب والوكيل
صبر «جميل» - يا أخي جميلُ
فالصبر نور رائع جليل
والصبر لانتصاركم سبيل
فعن قليل يُنصر الأصيلُ
نصرًا عزيزًا... ما له مثيلُ

***

يا أيها الإخوان لا قنوطُ
لا يلتقى الإيمان والقنوط[١٣]

إنـقـاذ شـعـبـكـم بـكـم مَـنـوطُ(١٤)
أمـا «هُـمُـو» فـحـظهـم هبـوط
وفـي غـد يـطـويـهـمُ السـقـوطُ
لا بـحـرُ يـحـمـيـهـم ولا شـطوطُ
والـلـهُ مـن ورائـهـم مـحـيـطُ

***

معاني الكلمات:

(١) تراعوا: تخافوا

(٢) الكنود: الكافر بالنعمة.

(٣) الثلاثة المشار إليهم هم الدكتور محمد حبيب، والدكتور عصام العريان، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وقد ذكرتهم على سبيل التمثيل لا الحصر.

(٤) الكئود: الشاق الصعب.

(٥) هذا المعنى كرره الإمام الشهيد حسن البنا كثيراً في رسائله.

(٦) ما بين القوسين (نفس.... الأقواما) من شعر النابغة الذبياني.

(٧) ضرامًا: نارًا.

(٨) الظُّلام (بتشديد اللام) الظالمين.

(٩) أحمد: الرسول (ﷺ).

(١٠) مرامًا: هدفًا.

(١١) أفول: غروب.

(١٢) تدول: تسقط.

(١٣) قنوط: يأس.

(١٤) منوط: معلق.

صرخة من وراء الأسوار.

أيهـــا الظالمون فى الأرضِ مـــهـــلا
إنّ فى الأرضِ والسّـــمـــا جـــبَّـــارا
فـــاتقـــوا اللهَ إن للهـــولِ يومـــا
فيه - مِن ظُلمكم - ستصلَونَ نارا
يوم تبـــيض من تُقَـــاها وجـــوه
ووجـــوه تســـودُّ خِـــزيا وعـــارا
لا تظنوا السلطانَ يبـــقَـى لحى
خُـلِقَ الدهـرُ قُـلّبـــا دوَّارا
إن تَرَ اليـــومَ منـهُ أمنـا وودّا
فـســتلقـاهُ فى غـد.. غـدَّارا
فـــاتقـــوا اللهَ فى العـــبـــاد وإلاَّ
ســوفَ تغـدُون عـبـرةً واعـتِـبـارا

***

لا تظنوا الرمـــادَ يعني خُـــمـــودا
إن تحتَ الرمـــادِ جـــمـــراً.. ونارا
لا تظنوا السكونَ يبـــقى سكونا
إن خلفَ السكون عـصـفًـا مُـثـارا
فكفـانا خـمـسـون عـامًـا من الظلـ
ـم أذقـتم فـيـهـا العـبـادَ المرَارا
كم وعـدتم، وكم نقـضـتُم وُعـودا
وعـهـوداً، وخُنتـمـو الأحـرارا
كم سـمـعنا عن الكفـاية والعـد
ل، ومـســتـقـبل يفـيضُ ازدهارا
فـــإذا عـــدلكم ظلام.. وظلم
وكـفـاياتكم.. أرتنا الخَـســارا
قـد تسلَّمـتـمـو البناءَ صُـروحـا
وبأيديكمـــو هوَى.. وانهـــارا
فـالرشـاوَى للمـجـد خـيـرُ طريق
ولمن رامَ منـصـــبًـــا ويســـارا
فـغـدت مـصـر - بعـد مـجـد وعـز -
وطنًا ضـائعًـا، وشـعـبًـا مُـضـارا

بينمـــا الأرضُ للكبـــار مَـشـــاع
لقـــصـــور تُطاولُ الأقـــمـــارا
فى شـــمـــال وفى جنوب تراها
و«مَـــرينـا» بـســحـــرها تتـبـــارى
عـــربَد الليـلُ فى مـــداها فـــمـــالت
فى انتـشـاء كـئـوسُـهـــا والسُّكارى
غـــيـــر أن القـــبـــورَ صـــارت ديارا
لـلذى لـم يجـــــد لسُكنـاهُ دارا
كـلـهـم مـــــيـت وإن كــــان هذا
ظاهـراً فـــوقـــهـــا، وهذا تَوارَى

***

أنـا لـم أســـرق القـــروضَ من البنـ
ـك، ولم أخـتلس جـهـاراً نـهـارا
لـم أبع ذمـــتى، ولا خنتُ يومـــا
أو لبـــستُ الرياءَ ثوبًا مُـــعـــارا
أنـا لم أقـــتـحم بيـــوتًا مع الفـجـ
ـر، وأُفـــزع أطفـــالَهـــا والعـذارى
لا ومـــا زوّرتُ انتـــخـــابًا، ولا كنـ
ـتُ دعـــيًّـــا أســـايرُ الأشـــرارا

إنما عــشتُ شــامــخًــا بيــقــيني
رافعَ الرأس عــــزةً وفـــخــــارا
أنا مـــا بعتُ أمـــتي برخـــيص
أو بغـــال، ولم أُخـــرِّب ديارا
مـا اتخـذتُ الإرهابَ دينًا ونهـجـا
لا، ولاحــــتي فكرة وحــــوارا

***

فلمـــاذا أصـــيـرُ رهن اعــتــقــال
وأعـــاني القــيــودَ والأســوارا
وأعـــاني لهــيبَ شـــوقي لطفل
وبنات للحـــزن عـــشن أُســـارى؟
زوجـــتي رُمِّلت ومـــا أنا مـــيت
وهيَ – من غـيبتي – تذوب انتظارا
حَمَلَت ما حَـملتُ قبـلاً، فـقـامت
تـشكرُ اللهَ قُـــربةً واصـطبـــارا
وصــغــاري تيــتــمــوا في حـيــاتي
«يا يدَ الظلم مـا رحـمت الصـغـارا»
لم يعيـشـوا في العيـد بهجةَ عيـد
أو تزيَّوا بزيه اســـتــبـــشـــارا

واتقــــوا دعـــــوةً لأم تعــــانى
مــرضًــا فــادحًــا عليــهــا أغــارا
فى ليـــالى الدمـــوع والكرب نـادت
«يا إلهى بك الكســيـرُ اســتـجـارا
يا نصــــيــــرَ المظلوم إنا ظُلمنا
وغُلبنا فــانتــصــر لى انتــصــارا»
إنهــــا دعــــــوة إلى الله هزَّت
من أســـــاها الملائكَ الأطهــــارا
أيهـــا الظالمون فى الأرض مــــهــلا
إنَّ فى الأرض والسَّــمـــا جـــبــارا
كـيـف أُرضـيـكمـو : أؤُصـبحُ لصًّا
أم غــبـيًـــا غـبـــاؤه لا يُجـــارَى؟
أم أقــضى المســاءَ سكراً ورقــصــا
وأُؤاخى الفـــجّـــار والشطارا؟
أم أصـــوغ المديحَ فى مـــوكب الذلِّ
نفـــاقًـــا، وأنظمُ الأشـــعــــارا؟

***

أنا لا أســـتطيعُ أنقضَ عـــهـــدا
بيــقــينى كــتـبــتــه.. مــخــتــارا

فـاتخـذتُ الرســولَ خـيـر إمـام
ورضـــيت الإســـلام دينًا ودارا
وتبــعتُ القـرآنَ دســتـورَ حق
وحـيـــاة، وحكمـــة، ومنارا
وتأثرتُ خـــالداً، وعليّـــا
وصُـهـيـبًـا، وجـعـفرَ الطيـارا
ولذا عـشتُ شـامـخًـا بيـقـيني
رافعَ الرأس.. عـــزة وفـــخـــارا
أبذل النفسَ والنفـــيس لديني
لا أبـالـي الخـطـوبَ والأخـطـارا

***

فـاتركـونا لله في صُحبـة الفـجـ
ـر، نعطر بوردنا الأســحـــارا
اتركــونا لله ننشـــر شـــذا الحقِّ
ونُطلـع من الظلام النهـــارا
كي نروي القلوبَ نورًا وحـبّـــا
بعـد أن أجدبت وصـارت قـفـارا
اتركــونا لله ننقــذ شـبـــابا..
تائه الخطو، حـــائراً منهـــارا

«يا شبـاب الحمى تعالَوا فإنّا
لا يمينًا نريدُه أو يسارا
إنما شرعةَ الإله، وإنا
نفتديها عقيدة وشعارا»

***

فاطمئنوا فما لدُنيا نهضنا
بل رفضنا رُواءَها والنُّضارا
ويمينا لن ننزعَ الحكمَ منكم
فبكم صارَ حكمكم.. أصفارًا
لا، ولن نقلبَ النظامَ فأنتم
قد وفيتُم بقلبه فانهارا
فاتقوا اللهَ فى العباد، وإلاّ
سوف تغدُون عبرةً واعتبارا

***

وقال الحاظر المفترى للمحظور المظلوم

ألقيت هذه القصيدة فى حفل الإفطار السنوى الذى نظمه الإخوان المسلمون في فندق شيراتون المطار بالقاهرة.

(١)

عم مساءً أيها المحظور فى ظل الطوارئْ
عم مساءً
وانتبه
والتزم فى ظلها الميمونِ حظركْ
فهْى تحمى الشعبَ
والأمنَ
فحاذر - ضدها - أن تتحركْ
(طوارؤنا طوارقُ كلِّ عاصٍ
تؤدب من بغى حتى يلينا)

(٢)

أيها المحظور فى ظل الطوارئ
لم يعد أمرُك أمرَكْ
إنما الأمرُ لنا
فاصدع بما تُنهى وتُؤمرْ

أو فداور ثم ناورْ
أو فعارضْ
أو لترفض أمرنا
إننا نرفضُ رفضَكْ
عندها نجعل من حُلوِك مرَّكْ
لا تلمنا إن مضينا
واختصرنا
فى مسار العمر عمرك
(هداةً عادلين إذا حَكمنا
وما كنا لقومٍ ظالمينا)

(٣)

فاحترم - يا أيها الرجعىُّ - حظرك
لا تقل لى:
"إنما الإسلام حلٌّ"
إننا نرفض حلَّك
وتذكر: أنت عضو
فى كيان وصْفُه "المحظورُ"
و"المنحلُّ"
فالقانونُ قد أوجب حلكْ
هل من المعقولِ
أن يَطرحَ محلولٌ

لهذا الشعب حلاً ؟
فتعقلْ
لا تجاوز بالهُراء المرّ حدَّكْ
إننا الدولة، والجولة،
والصولة، والدستور،
والقانون، والسلطان، والجاه
فراجع في ضلالاتك عقلكْ
(لنا مصرٌ ومن أمسى عليها
ونبطش حين نبطش قادرينا)

(٤)

فاحترم – يا أيها الرجعى – حظركْ
ليس ينجيكَ، ولا يحميكَ
أن تتلو – مع الأسحار – وِرْدك
أو تبللَ – من دموع الخوفِ
فى المحرابِ – وجهَكْ
وتصلى وتزكى
وتعيشَ العشقَ فى تقواكَ
كى ترفعَ وِزْرَكَ
بعدما أنقض – فى زعمك – ظهرَكْ
(ولن تنجو إذا لم تتخذْنَا
مثالاً هاديًا تقوى ودينا)

(٥)

أيها المحظورُ في ظل الطوارئ
كيف تنسى ما منحناك
من النعماء:
ما رُمْتَ وأكثرْ
فمنحناكَ - من الحرية السمحاءِ -
ما يرفعُ شأنكَ
ومنحناك حقوقا
لم يحُزها الناسُ قبلكْ
ثم تجحد؟!!
منكراً بالحقد أفضالَ كبيرِ القصرِ
ما أبشع حقدَكْ!!!
(منحناكم من النعماءِ فيضًا
وبالنعماءِ كنا السابقينا)

(٦)

فلكَ الحقُ.. بأن تهتف
في أكبر ميدان:
بأن يسقطَ بوتينُ
ودستانُ
وصدامُ وديانُ
وأنديرا وسنجورُ وطاغورُ

ولن نُخرسَ صوتَكْ
ولك الحق بأن تنقدَ «روبى»
ونادى بسقوط «العجرميين»
وتُفرغَ فوقَ «نانسى»
والفضائيات سُخطك
ولك الحقُ بأن نحميكَ منهم
لو عَدَوا يبغون ضُرك
(حماية شعبنا فرضٌ علينا
ولو كانوا عصاةً مفترينا) .

(٧)

ولك الحق بأن تهتف :
بالروح.. وبالدمِّ.. نُفدِّى
سيدَ القصرِ المُمَلَّكْ..
ولك الحق بأن تنْظمَ
فى كبير القصر شعركْ
ولك الحقُ بأن تسدى إليه
منَ الأعماقِ شكرَكْ
ولك الحق
بأن تملأ من حُبِّه قلبك
ولك الحق بأن تزحفَ
– منكوساً ذليلَ الوجه – للعتباتِ

كى تُبدىَ عذركْ
ربما - لست أدرى - ربما
يغفرُ ربُّ القصرِ ذنبَكْ
(ألا لا يجهلَنْ أحدٌ عليه
فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا)

(٨)

وكفلنا لك - يا محظورُ -
أن تُعمل عقلكْ
فلْتفكرْ.. كيفما شئت.. وأكثر
ولتعبرْ.. كيفما شئتَ.. وأكثرْ
أنت حر.. فلتفكر.. ولتعبر
لم يزل ذلك حقَّكْ..
فلْتزاولْه.. ولكنْ
دون أن تنطقَ حرفًا
دون أن تكتبَ حرفًا
عندها تبدو لنا
أبهى وأشْيكْ
(فكم جرَّ اللسانُ على أناسٍ
مصائبَ لن تموتَ ولن تهونا)

(٩)

ولك الحريةُ الرحْبَةُ فى الترشيحِ

ترشيحكَ نفسَكَ
فى المحليات
أو فى مجلس الشعبِ
أو الشورى..
تَقَدَّمْ.. واثقَ الخَطْوِ..
تَرَشَّحْ
رافعًا بالعز رأسَكْ
واتركْ الباقى علينا
فالصناديقُ بخيرٍ
والنزاهاتُ.. هوانا
والأماناتُ.. مصونةْ
والتزامُ العدلِ مَسْلَكْ
فلتصدقنا..
ولا تسمعْ لأهلِ الرملِ فى الثغرِ
ولا أشمونَ
أو عزَبٍ.. وحشمتْ
وسيأتيك من الأنباء
ما يشرحُ صدرَكْ
(فحزبُ الأغلبية نحنُ منهُ
به نبقى الهداةَ الغالبينا)

(١٠)

ولقد نسمحُ أن تختارَ سجنَكْ
وكذا الزنزانةَ السوداءَ نُزلَكْ
ولك الحقُ بأن تختار قيدَكْ
مُتقنَ التشطيب .. لا يصدأُ
كي لا يُؤْذِيَنْ كَفَّيْكَ
أو يُدميَ زَنْدَكْ .
(زنازننا بنا صارت ألوفًا
كذاك سجونُنا صارت مِئينا)

(١١)

وإذا استشعرتَ بالوحشةِ
في السجنِ فبلِّغْنَا
لكي نمحُوَ سأْمَكْ
بمقيمينَ يضافون إليك
إذا شئتَ أباكَ ، وإذا شئتَ أخاكَ ،
وإذا شئت فبعضًا من بنيك
ولا مانع - إن شئتَ - فعمَّكْ
أنت حرٌ ..
في اختيار الجالبين إليك أُنْسَكْ
(وجَمْعُ الشَمْلِ من أنقى السجايا

لذا زِدنَا الزنازنَ والسجونا)

(١٢)

فاحترمْ - يأيها الرجعيُّ..
يا محظورُ - حَظْرَكْ
أو تقدمْ، واحْفُرَنْ -
- بالعندِ والإصرارِ - قبرَكْ
ولك الحق..
بأن نحملَ عن أهلك غُسْلكْ
وكذا الدفنُ علينا
وتكاليفُ العزاءِ والمعزينَ علينا
ولإكرامكَ..
قد ننشرُ فى «الأهرام» نعيَكْ

الهــوامش:

* يصر الحاكمون فى مصر على عدم الاعتراف بجماعة الإخوان المسلمين، ويصفونهم دائمًا بالجماعة المحظورة، أو المنحلة، أو غير الشرعية، أو غير المشروعة، مع أنهم يمثلون أغلبية الشعب المصرى، ويعملون - بصفة دائمة - على خدمة الشعب والعرب والمسلمين، ويزرعون فى نفوس الشباب القيم الإنسانية العليا.

وهذه الكلمات أجراها الشاعر على لسان واحد من المسئولين الكبار جداً الذين يحاولون - بالتصرفات العبثية - أن يقهروا إرادة هذا الشعب، ويتحكمون فى مسيرته - بالظلم والإرهاب - دون مراعاة للقيم الإنسانية والوطنية والمصلحة العامة.

***



فلسطين في القلب

- قصيدة «صوت حماس»
- يا فتى الانتفاضة
- الإسراء والأطفال والحجارة
- يا قدس
- الطريق لتحرير الأقصى
- الدموع الداعرة

قصيدة «صوت حماس»

ورأيتــه والأفْــقُ يـشــدو حــولــهُ
وكـــأنـه - مـن نـوره - أعـــراسُ
الله أكـبـرُ مـن أراه؟... مـحـمـدُ؟
أقـدمْ فـــدتـك العـيـنُ والأنفـاس
أقـدم رسـولَ الله هـذى خـيـبـرٌ
عـادت تُنَجَّسُ منـهـم الأقـداس
سلبـوا الديار وهتّكوا أعـراضَـهـا
وقـيـادة العـرْب الكـرام نعـاس
مـرحـى أمـيـرَ الأنبـيـاء أمْتـهـم
فـى ليلـة فـاضـت بهـا الأقـبـاس
عـفـواً! ولكـن أيـن أيـن تؤمنـا؟
والقـدس ضـاع وأمنـا الأنكـاس
مـحـرابك الوضـاء أضـحـى نُهـبـة
لعـصـابـة بصـقـوا عليـه وداسـوا

وغدا مزاراً للسياحة بعدما

قد غاب عنه النورُ والإيناس

لا تُسمعُ الأنفالُ فيه ولا الضحى

والذارياتُ ويونسٌ والناس

فارفع "عُقابَك" عزةً وكرامة

وعلى جبينك همة وحماس

***

الله أكبر جند أحمدَ أقدموا

وجميعهم شُمْس العنادِ كِياس

أبطال بدرٍ والرجيع وخيبرٍ

مرفوعة راياتُهم والراس

هذا بلالٌ والبَرَاء وخالد

هذا عليّ وعمه العباس

هتكوا دُجى التاريخ وانشقت لهم

أعماق هذى الأرض والأرماس

فإذا الجبال هزاهزٌ مبهورة

وهمُ على خيل الوغى أحلاس

***

ما كان ما صورتُ، رؤيا شاعرٍ
غلبته أحزان بها ونعاس
لكنّ صورة واقع مشهودة
لم تُخطِها عيناى والإحساس
بُعث الرسول وصحبُه فى فيلق
عزماته نار والاسم "حماس"
إنّا همُ فى بأسهم ويقينهم
حرب يشيب لهولها الأخياس
إنّا بلالٌ والبراءُ ... وخالدٌ
إنا على وعمه العباس
إنا صلاح الدين فى جولاته
راياته قدر يرُوع وباس
إنا من "الإخوان" طاب غِراسُنا
فالمرشد البنّا هو الغرّاس
وعلى هُدى "القسّام" يمضى جندنا
العزم درع، والجهاد أساس
جئنا مع الفجر الشهيد لثأرنا
ممن على ظهر الحقيقة داسوا

ممن على جسد الشهيد تربعوا
ممن خلال ديارنا قد جاسوا
إن تسألوا "من أنتمُ؟" قلنا لكم
"إنا لدين محمد .. حراس"
الله غايتنا، ومصحف ربنا
- فى نهجنا - المشكاة والنبراس
وزعيمنا هو أحمدٌ لا غيرُه
وقلوبنا من نوره أقباس
وسبيلنا بذل الدماء رخيصة
والموت فى ساح الوغى أعراس
أسمى الأمانى أن تراق دماؤنا
كى لا تكون بقدسنا أرجاس

***

خلوا الطريق لنا فنحن الناس
أما الذين بغواْ فهم أنجاس
فارفع جبينك يا وريث محمد
حتى يُراع الغادرُ الخناس
واشهر سلاحك فالحقيقة أنه
بسلاحنا كل الأمور تساس

وانفض قيود الذل عن ساحاتها
حتى يذوب الذل والأنجاس
مسرى النبى لنا جميعا كله
لا النصف لا الأرباع لا الأخماس
واهتف معي بالحق هتفة مسلم
"فلتسقط الأقلام والقرطاس
وليسقط الصلح الذليل وأهله
ممن تخنث منهم الإحساس"
قالوا "أخذنا ما استطعنا أخذه"
كذبوا فقد خانوا العهود وخاسوا
ذبحوا الحقيقة واستباحوا عرضها
وكأنهم فى غدرهم "جساس"
قالوا "السياسة خدعة" فإذا بهم
وكسوبهم من صلحهم إفلاس
والحر يأبى أن يهان بأرضه
أو أن يرى مسرى النبى يداس
والمؤمن الحق، الحديد فؤاده
جافاه داءان: الأسى واليأس

لكنه الغدر الأثيمُ رجاله....

ومؤامرات ليلها دماس

فقضيتي هي مدفعي، وقضاؤهم

فيه التنازل والهوان أساس

***

خلوا الطريق لنا فنحن الناس

أما الذين بغوا فهم أنجاس

فصلاتنا وجهادنا.. لإلهنا..

وسجودهم "لوشنْطن" قدّاس

والدمّ والعرق الصبيبُ وسامنا

ووسامهم ذهبٌ نضارُ وماس

يا خيبرَ العصر الحديث ألا اسمعي

صرخ النذيرُ، ودقت الأجراس

رايات أحمدَ من جديد قد بدت

تحمي حماها بالنفوس حماس

***

خلوا الطريق لنا فنحن حماس

قدرٌ يُصب عليكمو نهّاس

وليكتب التاريخ فى صفحاته
أنّا لدين محمد.. حرّاس
ولينصرن الله ناصرَ دينه
هذا هو المعيارُ.. والمقياس

***

شرح بعض الكلمات :

الأنكاس: الأندال. ج نكس.

العُقاب: بضم العين – اسم راية النبى.

شُمس: ج شَموس، وهو العنيد الشديد.

الكياس: المتفوقون المتميزون. ج كيِّس.

الأرماس: القبور. ج رمْس.

هزاهز: هزات وزلازل.

أحلاس الخيل: ما يفرش فوق صهواتها. ج حِلس. ويقال: هم أحلاس خيل، كناية عن الفروسية والمهارة فى القتال.

خاس: غدر وخان. والأخياس: الخونة الغادرون.

دمّاس: شديد الظلام.

جساس بن مرة: هو الذى قتل (كليب)، وبسببه قامت "حرب البسوس"، ويقال: إنها استمرت أربعين عامًا.

يا فتى الانتفاضة

ألقيت هذه القصيدة مساء الجمعة ١/ ١٠/ ٢٠٠٤م في الندوة الحاشدة التي أقامتها نقابة الأطباء بمناسبة مرور أربع سنوات على الانتفاضة المباركة.

قد مرَّ أربعة من الأعوام والدنيا شهود
إذ ثرت تنفض بانتفاضتك المذلة والقيود
وحملت ما لو حُمِّلته جبالها لغدت تميد
ومضيت في درب الجهاد ونهجك الحر الرشيد
بالحق عملاقًا، رفيع الرأس، تُمضى ما تريد
تطهير أرضك من «يهود» وكل شيطان مريد
وتعيش عيش الشامخين، عن الكرامة لا تحيد
هذى رسالتك الأبية، لا تهاون لا قعود

***

فارفع حجارتك الأبية، وارجمن بها اليهود
واهتك حجاب «الأوسلويين» المناكيد العبيد

فهمو عباقرة التنازل والتراجع والسجود
البائعون الأرض والأعراض من أجل الرصيد
فى صفقة منكوسة خانُوا بها كل العهود
ثم ارتدوا ثوب البطولة فى غرورهمو الفريد
يا ويلهم ! ! ينسون أن حقيقة الحقّ السديد
أن التيوس هى التيوس، ولو تسمت بالأسود
فارفع حجارتك العتية، وارجمن بها اليهود
مشحونة بدم الجراح، وآهة الشعب الشريد
واثأر لياسين الحبيب، وكل من يمضى شهيد

***

اصمد وقاتل لا تهن، فلأنت فارسها الوحيد
واعلم بأن الحل فى الرشاش والحجر العنيد
لا حل فى أوسلو وشرم الشيخ أو فى «كمب فيد»
أو فى «الطريق خريطة» فى طيها الموت المبيد
أو فى «أمركا» فهى عن صف الصهاين لا تحيد
أو فى محافل أمنهم، فوشنطن فيها تسود
والظلم عدل إن تشأ، والعدل ظلم إذ تريد
والحق فيها للقوى اللص نكاث العهود
أما الضعيف فضائع، وبلا حقوق كالعبيد

* * *

لملم جراحك يا فتى وتحلَّ بالعزم الحديد
ولقد تعاودك الجراح بوجهها العاتى النكيد
وتجوع إذ حرموك حتى كسرة الخبز القديد
وتبيت مقروح اللَّهاة تصارع الظمأ الشديد
ويحل ساحتك السقام المر فى نهم حقود
لكنما واصل جهادك بالعناد وبالصمود
لا تسمعن لمن ينادى من قريب أو بعيد
ألق السلاح فقد هوى فى أرضنا ألفا شهيد
فى كل يوم لا نرى غير الضحايا واللحود
وعدونا فى عُدة من هولها شاب الوليد
فدع السلاح فبالسلام نعيش فى رغد رغيد
ولنا المعونة والسلامة والغنى الجم المديد

***

لا تسمعن وقل لهم فى نبرة الحق الأكيد
إن الجهاد هو الطريق إلى التحرر لا محيد
فارفع سلاحك - يا فتى - دمِّر به صلف اليهود
قد تمطر الدنيا صخوراً أو لهيبًا أو حديد
أو تزأر الآفاق حولك بالأباتشى والرعود

أو قد يموج الصخر تحتك بالأفاعي والصديد
ومدافع الأعداء تعوي باللظى العاتي المريد
حتى تكاد الأرض منها أن تشقَّق أو تميد
لكنما واصل نضالك بالعناد وبالصمود
فالأرض أرضك لن تهون ولن تذل ولن تبيد

***

اليوم يومك يا فتى صبراً كما صبر الجدود
لا تفزعن لمكرهم ولنارهم ذات الوقود
صبرًا كما صبر الرعيلُ الأولُ الفذ المجيد
من «آل ياسر» لم يزحزهم عذاب أو وعيد
و«بلال» لم يهزمه سوط أو هجير أو حديد
اليوم يومك يا فتى عزمًا كما عزم الجدود
عزمًا كعزمة حمزة وأسامة وابن الوليد
فالصبرُ والعزم القوى وسيلة النصر الأكيد
وانشد نشيدك يا فتى فالكون يصغى للنشيد
واهتف هتافك داويًا فلأنت منشدها الوحيد
زلزل به أركان إسرائيل أبناء القرود
إنى هنا لن أستكين ولن أسلم أو أحيد

الله غـايـتـنـا، ومـنـهـجـنا الجـهـاد بلا حـدود..
فـهـو الطريق إلى التـحـرر والكرامـة والخلود
وأقـول لـلـزعـمـاء أرباب التنازل والسـجـود
الخـانـعـين الأدعـيـاء، ومـا بهم رجل رشـيـد:
لا والـذى أهـوى بـفـرعـون العـتى وبالجنود
وأذل خـيـبـر والـنضـيـر وقـينقـاع من اليـهـود
لا والـذى قـد أنـزل الأنـفـال والأعلى وهود
فـلـيـحـشـدوا كل المدافع والأباتشى والحشود
فـسـبـيـلنا للحق: إحـدى الحـسـنيـين، ولا مـزيد
إما فـلـسطين تحـرر، أو أمـوت بهـا شـهـيـد

***

يـا أيـهـا الأبطال.. يا شـرفـاء.. أوفـوا بالعـهـود
لا تـقـنطوا من رحـمـة الجـبـار ذى العـرش المجيد
فـالـفـجـر آتٍ - لا مـحـالة - لم يعـد منكم بعـيـد
وغـداً سـتـنـهـار المواقع والموانع والسـدود
وتـذوب مـن إيـمـانـكم وجـهـادكم كل القـيـود
وتـعـود رايـة أحـمـد للقـدس فى هزج سـعـيـد

***

الإسراء والأطفال والحجارة

وهَا قدْ هلَّت الذكرى
عبيراً فاحَ ريَّاه...
فأصْبحَ جدْبُها رَوْضًا
وشادى النورِ ضَوَّاهُ
محمدُ يا رُبى يَسْرِى
تَمَلَّى مِنْ مُحَيَّاهُ
فسبحانَ الذى أَسْرى
به فى ظِلِّ نُعْمَاه
فما زاغَتْ له رُؤْيا
وما كَذَبَتْه عَيْنَاه
بمعراج حداه النور
فيَّاضاً.. ومَسْراه
فيغشى السِّدْرَة الشمَّاءَ
ما يغْشى لمرآهُ
وآياتٍ له كُبْرَى

تُحققُ ما .. تمنَّاه
وصوْتُ الله يحدوهُ
ويأمرُهُ.. وينْهاه
فكانتْ شرْعَةُ المحرابِ
خَمسًا منْ عَطايَاهُ
لتنهَى العبدَ عن خَطَلٍ
فيبعدَ عنْ خطاياه

***

لقد هَلَّتْ رُؤَى الذكْرى
وملءُ قلوبنَا الآهُ
وقد نزَّتْ جراحُ القلْب
مما قدْ لَقينَاهُ
فَطرْتُ على جناحِ الشوقِ
للأقْصى لأحْياهُ
وها قد جئت يا محراب
اسْتَدْفِى بذكرَاه
ودمْعُ الحُزْنِ فى الصلوات
روَّانى ورَوَّاه
أنا لن أبْرَحَ المحْرابَ
حتى يأذنَ اللهُ

هنا قد خرَّ للأذْقان
رُسْلُ الله: ربَّاهُ!!
وأمَّهُمُو رسولُ الله
يا أعْظمْ بتقْواه!!
ففاض الأُفقُ بالأنْوارِ
من نورٍ تجَلاَّه
وسبَّحَ فى جبين القدْسِ
من أطياب لُقْيَاهُ:
جبالٌ هَشَّ شامخُها
وزيتونٌ وأمْوَاهُ
أنا فى المسْجد الأقْصى
وقلبى الحُبُّ أضْناه
ذرُونى أَرْتوى منْهُ
وأَشْبَعُ منْ نَجَاواهُ
ولكنَّ الأيادى السودَ
شدَّتنى.. فوا آهُ
وقالوا: لَمْ يعُدْ لَكُمُو
ولا حتى بقاياه
هنا قد كانَ هيكُلنا
بنَيناهُ.. وشدْنَاهُ

سنبْنيه ونُعليه
ليرْضَى ربُّنا (ياهو)[1]

***

صرختُ بقلبيَ الباكي
وعمْقُ الجرْح أدْمَاهُ
وصحت بقادتي الأبطال
«يا قادات ... قدساه»
ولكنْ جاءني صوتٌ
ينيرُ الحقُّ أَصْدَاهُ:
فلسطينٌ قد ابتُلِيَتْ
بقادات ألا شاهُوا!!
رجالات إذا نَطَقُوا
وإنْ فعلُوا فأشبَاهُ
لهم صيتٌ وأصواتٌ
وأرْصدةٌ لَها جاهُ
فكلٌ قَدْ هوى الدنيا
وحبُّ البنْك أغْراه
وإنَّ كبيرَهم فيها
«هرقْلٌ» أوع «شَهنْشَاه»
يُهَدِدُ شعبَهَ المسكينَ

إذ هبَّتْ سَرَاياهُ
تقودُ حماسُ فتْيتَها
وغايتُهمْ هي الله
يقولُ بأنهم «زُولو»(٢)
تهدد صفو دنياه
وإنَّ رصاصَه عُقْبَى
لِمَنْ ضَلّوا وَمَنْ تاهُوا
وساروا في جهادهمُو
ونَادَوْا: يا لقُدْسَاهُ
وقالُوا: لا «لمدريد»
ومَنْ «بسلامها» بَاهُوا
و«أوسلُو» الذل قد رفضوا
فيا للعارِ يا شاهُ
وسِرْتُ بقلبي الدامي
كَمَنْ في القيد رِجْلاَه
فصوتُ «القائد الأعلى»
رماهُ، بل.. وأَخْزَاه
وقلتُ: أهكذا يُطْوَى
كفاحٌ قد بدأْنَاهُ
ومجدٌ من حُشاشَتِنَا
وماءِ القلْبِ صُغْنَاهُ

وقدوتُنَا رسولُ اللهِ
فى نهْجٍ رضيناه؟
فكيفَ نعودُ موكوسينَ
والماضى أضعْناه
يسودُ حياتَنا قهرٌ
وإذلالٌ وإكراهُ؟
ولكنى بدرْبِ الحزْ
نِ والظلمات تغشاه
هناك رأيته طفلاً
تُشعُّ النورَ عيناه
يثورُ بكفه حَجَرٌ
سعيرُ الثأْرِ لَظَّاهُ
يهابُ يهودُ لسْعَتَهُ
وتُرْعبُهُم شظاياه
يُكبِّرُ حينما يَرْمى
وجندُ يهود مَرْمَاهُ
فيا عجبًا لهذا الطفْلِ
كالصاروخِ يُمْنَاهُ
تسوقُ الموتَ في حجرٍ
يمزِّقُ مَنْ تحدَّاهُ
ويرمى حَيْثُما يَبْغى

كأنَّ الحربَ مَهْواه
وما طفلٌ هُوَ الرامى
بل الرامى هُوَ اللهُ
ويا عَجَبًا لهذا الطفْلِ
فى صبح وممساه
فما جرْحٌ بعائقه
ولا التعذيبُ بَكَّاه
ولا سجْنٌ يروِّعُهُ
ولا التشْريدُ يَخْشَاهُ!
فقمْ لقيادةٍ ضَلَّت
ومَنْ أعمَتْهُ دُنْياهُ
وعَلمْهُم أيا طفلاً
هُدَى الإسلامِ نمَّاه
وعلمهم أيا بَطَلاً
هَوَى الإسلامِ ربَّاه
وعلمهم أيا أَمَلاً
يصوغُ المجْدَ كفَّاه
بأن الحقَّ منتصرٌ
وناصرُهُ هو الله
وقل للقائدِ المغوارِ
مَنْ أعنيه .. «إياه»..

بأنَّ القدْسَ لَنْ يُعنوا
بصخرته وأقصاهُ
وأن السَلْمَ كالتسليم
إنَّا قدْ رفضناه
فَسلْمٌ قدْ عَدَاهُ العدْلُ
نأباه ونأباه
وهذى الأرضُ للإسلام
قلعتُهُ ومأواه
وسلْ عُمَراً وسَلْ عَمْراً
ومَن ذا التُرْبُ واراه
سجل شهادة في الله
كَفُّ المجْد أمْضَاهُ

***

أيا أطفالُ.. يا أملاً
وأنتمْ قوةٌ.. جاه
محمدُ لم يَمُتْ. فيكمْ
عزيمتُهُ وذكْرَاهُ
خُذُونى أَنْضَوى مَعَكُمْ
بدربٍ قدْ عشقْنَاهُ
فأرْمي مثلما ترْمُون
صَخْراً قد شحذنَاهُ

ومِنْ لهَبٍ سقيناه
وبالإصْرارِ سُقْنَاه
فإمَّا يَهْو فى الميدانَ
جسْمى البَغْىُ أرْدَاه
ومَزَّقَهُ لأشْلاءٍ
فَصَلوا فوْقَ أشْلاهُ
وخَلُّوا أعْظَمى حَجَراً
بوجْهٍ قدْ لعَنَّاه
وسيروا فى طريقكُمُو
فعينُ الله ترْعاهُ
فهذا النصْرُ مؤتلق
وأنتَمْ بعضُ بُشْراه
وواعدُنا هَوَ اللهُ
ومَوْعدُنا هوَ اللّهُ..

***

---

(١) ياهُو: (يَهوه)، هو أحد أسماء الإله عند اليهود كما ورد فى توراتهم.

(٢) من عدة سنوات كان عرفات يقول عن مجاهدى حماس إنهم يشبهون قبائل «الزولو» الذين كانوا يعارضون مانديلا فى جنوب أفريقيا، ولن أتعامل معهم إلا بالرصاص.

يا قـــدس

نظمـهـا الـشـاعـر، وقـد رأى الصـهـاينة يُدنسـون سـاحـة الأقـصى الشريف .

قُـومي وشـدِّى الـفـجــرَ مِن غَـسَقِ الظَّلام وكَـبِّـرى
فلطَالما حـبَـسُـوا عليك سُـجـونَ ليلٍ أكْـدَرِ
وبنَوْا سُـدودًا عَـاتيـاتٍ ذاتَ وجـهٍ مُنْكرِ
قُـومِي - فَـديتُك - كـفْكفى مِنْ دمـعَك المُتـحـيِّـرِ
قُـومِي عليكِ مـهـابةٌ مِنْ عـزٍّ مـاضٍ مُـزهرِ
مـاضِى البـسـالةِ، والكرامـةِ، والإباءِ النيِّـرِ
ولْتُـرجِـعى أمجـادَ حـمـزةَ، والحسـينِ، وجـعـفـرِ
وأبى عُـبـيـدةَ، والمُثنَّى، والرعـيلِ الخـيِّـرِ
إنَّ الزمـانَ بغـيـر مـا قـدْ سـجَّلُوا لم يفـخـرِ

***

واليـومَ قـدْ داسَ الكلابُ على حِـمـاكِ الأطهـرِ

فلْتنهــضى، وبماء قلبك فــاغــسليــه، وعطّرى
وتطهــرى مِنْ رجْس مَنْ قَــدْ دنَّســوه، تطهــرى
وتَوضــئى يا قــدسنا من مــاءِ نهــرِ الكوثرِ
وبثــوبِ عــفَّــتكِ المصُــونِ تزملى، وتدثرى
وتزودى مِنْ سُــورة الأنفــال.. والمُدثِّرِ

***

هذا هو الإســراء، قُومى استــقبليــه، وكــبرى
وتفــيئى مِنْ نُورِ أحــمــدَ فِى بهــاه الأوفــرِ
إنى أراه على البــراقِ، وطَيْــفُــه فى ناظرِى
بلْ فى دمــاى كــأنّهُ شــلاَّلُ نُورٍ مُــسْــفِــرِ
فــأعِيــشُــه فى مــخبــرِى، وأعِيــشُــه فى مظهــرى
وأعِيــشُــه فى غــربتى، وأعِيــشُــه فى مــحــضــرى
وأكــادُ أفنى فى هوى المحــرابِ، أو فى المنبــرِ

***

قُــومى، ومِنْ كل القيــود الغُــشْم.. فلْتــتــحــررى
وتبــوئى عــرشَ الكرامــةِ والعُــلا، وتأمَّــرِى
فَــلأنت يا قــدسُ الأمــيــرةُ فى جَــمــيع الأعْــصُــرِ
أمَّــا الكبــار فــهَــمُّــهم "رَفْعُ" الرصيــدِ المثــمــرِ

الراكــعــون الســاجــدون لكل نـذلٍ.. مُـفــتــرِى
البــائعـــون الأرضَ بالذهب البـــغيِّ الأصـــفـــرِ
والبـــاذلون العِـــرْضَ دونَ تَرددٍ لِلمُـــشـــتـــرِى
لا تَعــجــبِى... هذا زمــان النذل، والمتـــســعـــرِ
وبه الســـيـــادة للدعيِّ الداعــــرِ.. المتنمِّـــرِ
ولكل لِصٍّ غــادرٍ، أو.. مــاجنٍ مُـــســـتـــهـــتـــرِ
لا تفْــزعى.. لكَنْ مِنَ الخــدعِ اللئــيــمــةِ فــاحــذرى
وإذا أرادُوا يخــدعـــوك بخِـــسَّـــةٍ، وتجـــبـــر:
فـــتـــذمـــرى، وتمردى بعـــزيـمـــةٍ لم تُقـــهـــرِ
هامُــوا بـ"خــارطة الطريق" الضــائع المُتـــعـــسِّـــرِ
قـــالوا الطريقُ.. هُو الطريقُ إلى المصـــيـــرِ المُزهرِ
والعـــيشِ فى ســعــدٍ وعــزٍّ بالســلام الأخــضــرِ
ويُبـــشــرونك بالثـــراء خــلال عـــدة أشـــهـــرِ
فلتــحــذرى يا قـــدس إن طريقـــهم للأخـــســـرِ
فـعليــه قُطاعُ الطريقِ... عــصـــابة من مَنْســرِ
كـبنى قُـرَيظة، والنضــيــرِ، وقـينقــاعَ.. وخــيــبــرِ
يتلمظون كــمــا الأفــاعى.. همُّــهم أن تُقــبــرِى
أو تنحنِى أو تنزِلى عن حـــقِّكِ المُتَـــجـــذِّرِ

فتشبثي بالحق.. حقُّك في عزيمة قَسْور
وتحصني بالعزة القعْساء، لا تتقهقري
وطريقَهم لا تسلكيه، ففيه كل مدمِّر
أما طريقك .. فالجهادُ المرُّ حتى تظفري
فحماسُ عزِّ الدين بالمرصادِ للمستعمرِ
بالمدفعِ الرشاشِ ينطقُ باللظى المتسعِّرِ
ويُفجرون جُسومهم بين العِدَا لتُحرَّرِي
قد ذَلَّ مَنْ تركَ الجهادَ، ولان للمتجبرِ

***

لا تَقْنَطِي مِنْ روْح ربي، وانهضي واستبشري
فالنصرُ ليس بطائراتٍ، أو بقوةِ عسْكرِ
أو بالخداعِ، وبالمكائد.. والعديدِ الأكثرِ
النصرُ يا قدسَ العروبة باليقينِ الأطْهرِ
النصرُ بالإيمان.. والعزمِ الوثيقِ.. تذكري:
مَنْ ينصر اللهَ القديرَ على الأعادِي يُنْصرِ

***

الطريق لتحرير الأقصى

نظمها الشاعر وقد رأى هذا المشهد الجبار يوم انتخابات مجلس الشعب المصرى سنة ٢٠٠٠م، وقد وقع فيها تزوير صارخ لمصلحة حزب الحكومة، حتى حصل على الأغلبية الساحقة دون استحقاق.

عجبًا أقاهرةَ المعزِّ أرى على
ساحاتك الغراءِ رَأْىَ عَيانِ
جيشًا كثيف العد يحشد جندَه
متلاحقَ الأمواجِ. كالطوفان
فى قوة وعزيمةٍ مرهوبةٍ
تُزرِى بجيش الفرسِ والرومان
ذكَرتنى "بصلاحِنا" فى جنده
أسد يقودُ فيالقَ الفرسان
يمضى لحطين البطولةِ والفدا
بعزيمةٍ أقوى من السلطان

ذكرتني برجال " قُطْزَ " وقد مَشَى
نحـو التـتـارِ بقـوة الرحـمن
فتبدَّدُوا في "عين جالوتٍ" على
أيدي جنود الحق والإيمـان

* * *

واليومَ يا "بنتَ المعزِّ" أنا أرى
جنداً "حديثًا" في مَدَى الميدان
يتحركون هنا.. هناكَ بخفة
وكأنهم من مارج النيران
وبكفٍّ كل منهمو رشاشُهُ
برصاصه للضربِ في المليان
وحزامُه فيه القنابلُ عُلقتْ
إن فُجِّرت كانتْ كما البركان
وعصاهُ قد شُحنتْ "بكهربةٍ" إذا
مسَّت فتىً حملوه في الأكفان
والخوْذةُ "الصمَّاء" تحمي رأسَهُ
أقوى من الفولاذِ والصوَّان
ومصفحاتٌ كالعمائرِ جُهزتْ
بذخائرٍ حُبْلَى بموتٍ قان

هى عدَّة الحرب "الوشيك" وقوعُها
خُلقتْ لمثل أولئك الشــجــعــان
فى فــيلق فــاق الخــيــالَ مــضــاؤُه
إنْ قـــــيس بـالحـلفـــــاءِ والألمانِ

* * *

صاح "العميدُ" الفذُّ "هيَّا فاجمعُوا"
فــتــجــمــعُــوا فــوراً بدون تــوان
فى كل مــركــبــة ثمــانيــةٌ بدوْا
فى "وضع الاســتــعــدادِ" كــالبنيــان
يتلمظون بُفـــوَّهات مـــدافع
وجـــوابُهـــا يأتى خـــلال ثوانِ
بدءوا المسيرة ،كالسلاحف بُطؤُهمْ
من ثقْلِ مـــا حـــملوا من الأوزان

* * *

فــسألتُ والفَــرَحُ العظيم يهــزنى
حــتى أكــاد أهمُّ بالطيــران
من هؤلاء!! فلم أشــاهد قــبلهم
فى الإنس مــثْلهــمو ولا فى الجانِ؟
قالوا: "جنودُ الأمن" قلت: "هو المنىَ
أن نســــتظل بـأمْنَـةٍ وأمــانٍ"

مـرْحىْ جنودَ الأمن، قطعًـا همْكمْ
مَـسْـرىَ النبيِّ ومـوطنُ الإيمـان
كى ترفـعـوا عنّا المذلةَ والخنا
وبكم نفـاخـرُ بعـد طولِ هوان
مرحَى جنودَ الأمن!! قطعًا زحفكم
للقـدس أو طُولكرمَ أو بيـسـان
لتحـرروا الأرض السليـبـة بالدمـا
من "إسـرئيـل" الظلمِ والعـدْوان
ولتـثـأروا لمحـمـد الطفل الذى
قـتلتـه غـدرًا عـصـبـةُ الغـيـلان
لم يرحـمـوا فيـه استـغـاثة مُفْزع
وبراءة فى طُهـرهـا النُّورانى
وتُسـانِدوا فيـهـا انتـفـاضـةَ فـتـيـةٍ
رفـضـوا حـيـاةَ الذل والإذعـان
صـدقـوا مع الله العـهـودَ وجاهدوا
فـإذا همـو للمـوت مـوتٌ ثان
هيـا جنودَ الأمنِ للأقـصى الذى
أسـرتْه عـصـبـة قـاتلِ شـيطان"

* * *

ضحكَ العميدُ الشهمُ قائدُهم، وفى
عينيه كِبْرٌ ظاهرُ اللمَعانِ
مِنْ غفلتى وسذاجتى وبلاهتى
ومضى يقول بصوته الريان:
"بل للأهم قيامُنا ومَسَارُنا
لقواعد الإرهابِ والعدوان
إنا إلى "أشمونَ" يمضى زحفنا
لمرشح بجماعة الإخوان"

ملاحظة: إسرائيل يجب ان تكتب وتنطق هكذا (إسرَئيل) لضرورة الوزن. "من إسرئيل الظلم والعدوان" (أشمون) هى إحدى مدن محافظة المنوفية، بجمهورية مصر العربية.

***

الدموع الداعرة

رأيتُه في التلفاز منتفخ الوجه والعينين والشفتين والأوداج، وهو يبكي "رابين" في جنازته، ويعانق زوجة السفاح "معزيًا" ويخطب – داعيًا الله – أن يفوز بمثل هذه "الميتة" الشريفة، فغلا الدم في عروقي، ولكن تجمد المداد في قلمي، وأصابني من الإحباط والقرف والغثيان ما أعجزني عن كتابة بيت واحد. وفي منتصف ذي الحجة كنت في زيارة صديقي وأخي في الله (أ. ن). فأتتني طفلته "هتون"، وفي يدها مجلة بها ثلاث صور لهذا الزعيم "الكبير جدًا" ... العربي جدًا جدًا، وهو يخطب، وهو يبكي، وهو يعزي أرملة السفاح بالأحضان!! وسألتني "أمثل هذا يكون مسلمًا؟" فكانت هذه القصيدة..

عفوًا بُنيتي البريئة يا هَتونْ
إذ تسألينَ بصوتِكِ الهادي الحزينْ
"أوَ مُسْلِمٌ هذا الذي يبكي لمصْـ
ـرعِ ذلك السفاحِ رابينَ اللعينْ؟"
قلتُ "السؤالُ به الجوابُ، وإنَّما
في الصورةِ الرعْناءِ تبيانٌ مبينْ"

* * *

يا سيدي: ما لي أراكَ، وقدْ كَسَا
كَ الذلُّ والأحزانُ مَحْنيَّ الجبينْ؟!

في وجْهِكَ المنْفوخ "خارطةُ" الضيا
ع، ولوعةُ المستسلمين الصاغرينْ
متورمَ العينين، باكي المشْفَريـ
ـن كَمَنْ ينوءُ بكلِّ أثقالِ السنينْ
وأرى عروقَكَ جاحظاتٍ راعشا
ت من أساكَ المرِّ والهمَّ الدفينْ
وتعانقُ الشمطاءَ (قيل: مُعَزِّيًا)
في شرعِ مَنْ هذا "العَزَا" يا منصفينْ؟
يا عَارَكَ الأبديَّ في الداريْن .. يا
مسكينُ!! أمْسِكْ دمعَكَ الهامي السخينْ

* * *

تبكيهِ وَهْو اللصُّ؟ في وَضَحِ النها
رِ يَلُصُّ أرضَ القدسِ والوطنِ الأمينْ؟
أمْ أنتَ تبكي النذْلَ فيهِ، وغدْرَهُ
بالعهدِ، والميثاقِ، والعدْلِ المكينْ؟
أمْ أنتَ تبكي فيهِ مَنْ قتلَ البرا
ءةَ في الطفولةِ والأمومةِ والبنينْ؟
إذ عاشَ ذئبًا ضاريَ الأنيابِ يرْ
عَى في دماءِ الأبرياءِ المسلمين
أمْ أنتَ تبكي فيهِ من جعلَ المسا
جدَ "بيعَةً" للفاسقين المفسدين؟

أم أنت تبكي فيه من نسفَ البيو
تَ الآمنات، وشرَّد المستضعفينْ؟
أم أنت تبكي فيه نَفْسَك؟ أنتما
صِنْوان كالنعْلينِ في عَفَنٍ وطينْ

* * *

لَمْ تبك "عيَّاشًا" ولا "فتحي" ولا
قتْلَى الخليلِ الراكعينَ الساجدين
لكنْ بكيْتَ القاتلَ السفاحَ.. را
بينَ الدعارة والخيانة والجنونْ
وأراكَ تُفْتِي أن هذا الوغْد را
بينَ الزنيمَ "شهيدُ سِلْمٍ لا يلينْ"
ولِذا دَعَوْتَ بأنْ تموتَ مَماتَهُ
ونقولُ "آمين" لربِّ العالمينْ
فالمرءُ يُحشر معْ محبِّيه الثقا
ت الأصْفياءِ الأوفياء.. المخلصينْ
وحماسُ - في فتواكَ - لعنةُ لاعنٍ
قامتْ لإرهاب البرايا الآمنين
"عملاءُ إيرانٍ"!! لتدمير السلا
مِ الحقِّ، والزيتونِ، والوطنِ الأمين
وبأنَّ مَن ضحَّى، وفجرَّ نفسَه
أخْذًا بثأرِ الأبرياءِ الطاهرين

هُوَ مـجـرمٌ، ومـدمـرٌ، ومـصـيـرُه
في النارِ ضِـمْنَ الكافـرين الآثـمينْ!!

* * *

يا سـيـدي: يا بائعًـا، ومُـؤَجِّـرا
أرضَ البطولةِ لليـهـودِ الغـاصـبين
هلاّ ادَّخـرتَ دمـوعَك الحـرَّى ليـو
مِ حـالك يـأتيك بالنبـأِ اليـقينْ
ينقضُّ فيـه "مُـسـالموكَ" من اليـهـو
د على سـريرك (لا مَـلامـةَ) عـابثينْ
ويمزِّقـون "حـزامَ عـفَّـتك" المصـون
ويهـتكونَ، ويفـحشـون، ويُوغلونْ
وتُساقُ ضِمْنَ "السَّبْي" مسلوبَ الرجو
لةِ والكرامـةِ والعـروبةِ مـسـتكينْ
ويومَـهـا: لا تَنفـعنَّك "ليـتني"
أو يُنقـذنَّكَ دمـعُك الدامي السـخينْ

في ٤ من نوفمبر سنة ١٩٩٥م اغتيل إسحاق رابين رئيس الوزارة الإسرائيلية بيد يهودي يميني متطرف.

***



مغربيات ..

- سلاماً يا أغـاديـر
- شمس من المغرب

سلاماً يا أغادير

ألقاها الشاعر بالجلسة الافتتاحية للملتقى الثالث للأدب الإسلامى الذى أقامته كلية الآداب بجامعة "ابن زهر" بأغادير بالمغرب، بالاشتراك مع مجلة "المشكاة"، ورابطة الأدب الإسلامى. وقد حضر الملتقى أدباء ونقاد من شتى بلاد العالم

تقول بهمسها الحانى
ونبرُ الصوتِ مقهورُ:
ترفق يا رفيقَ العمـ
ـر ، فالأسفارُ تذعير
ومثلك فى خريف العمـ
ـر بالأسفار قد ضيروا
فلا بردٌ.. بِراحِمه
إذا ما عضَّ أمشير
ولا حر بمُعتِقه
فإن الحَرَّ مسعور
وأنت أسيرُ أدويةٍ
لها فى الجسم تأثير

بميــــــعـــــادٍ تـنـاوُلُـهـــــا
وكـمٌ الحَـبِّ مـــــــقـــــــدور
وإن أغْـــفَـلـتَ واحـــــــــدةً
غــــدوتَ وأنت مـــضـــــرور

***

فـــقلتُ: وكـــيف لا أمـــضى
وهـا هـى ذى "أغــــــــــادير"
تـنـاديـنـى.. وتـدعـــــــونـى
بصـــوت فـــيـــه تعطيـــر؟
هى الحـــسناء، منهـــا الحـــ
ـنُ مـــفـــتـــون ومـــســـحـــور
كـــســـتـهـــا الحلَّةُ الخـــضـــرا
ءُ، والتـــــاجُ الأزاهيـــــــر
وغنَّت ســـحـــرَها الفـــتَّـــا
نَ فى اللقــــيــــا المزاهيـــر
ترقص دوحَـــهـــا ســـحـــراً
ومـــــاس كـــــأنـه الحـــور
كـــــــمن طـافـت بـه رؤيـا
وشــــدَّته الأســــاطيـــــرُ
ومَـنْ يغــــفل عـن الحـــسنا
ءِ أعــمـــتــه الدياجـــيـــر

ذريني للسنا أمضي
فقد لاحتْ "أغاديرُ"
إلى "مختارها السوسيِّ"
حيث العلم والنور
وجامعة بها علم
وآداب، وتنوير
ورابطة لها في الفـ
ـن والأشعار تنظير
ومشكاة - رعاها اللـ
ـه - فيها الدر منثور
رسالات، دراسات
وفيها السحر مسطور
وصحب في رحاب العلـ
ـم كل فيه نحرير

***

وجئنا من ضفاف النيـ
ـل تحدونا التباشير
وما كانت لتشغَلَنا
دنايا، أو دنانير

ولكن كي نشيد الفن
صدقًا، ما به زُور
ونفضح أدعياء الفن
ممَّنْ فنهم بور
وتخريب، وتدمير..
وتدليس، وتزوير
وقالوا "قادة التنوير" كيف يقودنا عور"؟
وأفَّاق، وحشاش
وعربيد.. ومغرور
وليس لهم بأرض الفن
لا نفر، ولا عير
وفينا النور والتنوير منهاج وستور
دعوا لحداثة ضلت
وقالوا ذاك تعمير
وفتح في مجال الفكر والنهضات تفكير
فأين الفكر؟ لا فكر
ولا سبك وتعبير

ولا حظ لعاطفة
ولا صدق وتصوير
ولكن نعب أغربة
وأصفار، وتصفير
وتيه ما له حد
وإبهام وتشفير
ونحو، ما له نحو
له في الجهل تفسير
وقالوا: "عندنا للنحـ
ـو - بعد العسر - تيسير"
وفاعلهم هو المفعو
ل، والتصغير تكبير
وماضي الفعل مرفوع
وضبط الحال مجرور
وللنكرات تعريف
وللأعلام.. تنكير
فلا قامت لهم حجج
ولا صحت معايير
وقالوا: "إنه سبق
إلى العليا وتطوير"

فكيف يكون تطوير
لما أفناه تدمير ؟
وكيف تكون أشعار
- تباهت - وهي منثور؟
فلا وزن، ولا لغة
وإن وزنوا فمكسور
فقولي: يا أغادير
بأن كوبهم بور
وأن الفن خلاق
وأن الشعر تبصير
ودنيا من ربيع السحـ
ـر غنتها العصافير
ولكن إن يثر للحق
لبته الأعاصير
يدك بنارها طاغٍ
وعربيد وشرير
فذلك فننا الراقي
سيمضي وهو منصور
عليه من رِضا الرحمـ
ـن نور فوقه نور

شمس من المغرب

ألقاها الشاعر فى الدار البيضاء بمؤتمر الأدب الإسلامى بالمغرب، وكان من المفروض أن يُكرم فيه الأديب الناقد العالم الدكتور عماد الدين خليل. ولكنه تخلف عن المؤتمر فجأة لأسباب طارئة قاهرة.

وطرْنا إليكمْ بشوقٍ مشُوقٍ
يجوزُ الصحارى ويطوى السُّهولا

مِن الشرق جئنا إلى مغربٍ
فحلْنا على الشرقِ هذا النزولا

كأنَّا مُضيفون فى أرضِنا
ولسنا ضيوفًا أرادوا المثولا

ومن مصرَ أحملُ حُلْو التحايا
تحايا الكنانةِ شعبًا ونيلا

إلى صفوة المغْرب اليعربىّ
سلامًا يفوقُ النسيم العليلا

يضمِّخُهُ الحبُّ بالصالحات
فيبقَى على الدهْر جيلاً فجيلا

لقـــد ألّف الله مـــا بيْنَنا

ومـــا ألّف الله يبـــقى وصُـــولا

***

من الشـــرق جئْنا لعُـرس الأديب

وعُرسِ البيـان الْيُحاكى الخميـلا

نكرّمُ فـيــه "عــمــادا خليـــلاً"

فللفن عـــاش عــمـــاداً خليـــلا

غـــزيرُ الشـــقـــافـــاتِ ثرُّ المدى

يمـــازجُ فـيـهـا الجديدُ الأصيـــلا

وفى النـقـــد ينهل منْ مـــورد

تفـيـضُ عطاياه عِلْمـــا نبـيـــلا

وإن ينظم الشـــعـــر دراً تفـــيَّـــأْ

تَ مُلْكًا ونُعْـــمَى وظلاً ظليـــلاً

وفى قلبـــه عَـــزْمـــة لا تلينُ

وقُـــــوةُ رأى أبتْ أن تحـــــولا

فـلا الصـعبُ يبـقَى منيع الجناب

ولا المستـحـيلُ هو المستـحـيـلا

وإن غـــاب عن حـــفلنا كـــارهًا

فـــــإن لـه فـى القـلوب الحلولا

فكم حـاضـرٌ غـائبٌ فى الحـضـور
وإن مـلأ الكون صـيـتًـا وقـيـلا
وكم غـائبٌ حـاضـرٌ فى القلوب
ولـو غـــاب عنـا طـويـلاً طـويـلا
أرى الشـمـس تشـرق من مـغـرب
"ومشكاتكم" قد هدتنِى السبيلا
بـهـا الأدب اليـعـربىُ الرصـين
تـخـذتم لـه الدين تاجًـا جليـلا
مـنـارةُ فـكـر زكـى وضـىءٍ
فكانت بـه للعـقـول الرسـولا
تَلين وتـصـفـو كـمـاءٍ نميـرٍ
يُروِّى القلوبَ ويشـفى الغليـلا
وحـيـنًا تَثَـاقَلُ فى مَنْعـةٍ
فـتـحـرمنى أن أنال الوُصُـولا
فكمْ أجـهـدتنى بعـمقٍ بعـيـد
ولكنْ ظَللت المحبَ الوصـولا
فظُلْمُ الحـبـيـب كـمـا ظَلْمـه
يراه المحَبُ لذيذًا جَـمـيـلا

***

رأيت أديبـــين فى سُــوقِـــهــا
نقـيـضـين: طوْدًا وقـاعًا مـهـيـلا
أديبًـا أمـينًا حـفـيظًا أصـيــلاً
وآخَـر فى الفن غِـرًّا .. دخـيــلا
أديبـــا عـــزيز الجنى والجناب
أبَى أن يهــادن أو أن يمــيـــلا
تزولُ الجـــبـــال.. ولا ينحنى
ويأبى بإصــــراره أن .. يزولا
فـــعـــزته تســتـــمـــد الإله
وقـــرآنَه والهـــدى والرســـولا
ســـلاحـــاه قلبٌ نبىُّ الشـــعـــور
عطاياه تَـهـمى فـتـحـيى المُحـولا
وثانيـــهـــمــا القلمُ العـبـــقــرىُّ
إذا مـا انبـرى كـان سـيـفًـا صقـيـلا
فــبـــالحق يغــدو قليـلٌ كـثـيـــرًا
وبالبـغى يُمـسِى كـثـيـرٌ .. قليـلا
وتشـــهـــدُ فـــيــهـا الظلوم العـتـىُّ
بما قـد أعـد ضـئيـلاً .. ضـئيـلا
وأمّـــا أديبُ الهـــوى والهـــوان
فـيـمضى .. ويمـضى يدقُّ الطبـولا

ويلْعقُ أحــذية المنعــمــين
ويطْوى الموائدَ عْــرضًــا وطولا

فــغـــاية غـــايتـــه أنْ ينال
من الأدْعــيـاءِ الرضى والقُــبـولا

ويحــيـا حــيـاة الخـسيس اللئيم
بغيًا .. دعيًّا .. مهينًا .. ذليلا

ولا تـسْـــألـنْهُ عـن المكـرمــات
فـقـد صـيَّـرتْهـا الدنايا .. طُلولا

***

وقـــد بـلغ الســيـلُ هامَ الزبى
وضمَّ حــمــانا البـغــاثَ الهـزيلا

وهبَّ النهـــيقُ - على نكْرِه -
يطارد حـسُّــونـهـا .. والهـديلا

وأصـبح "مـادرُ" شــيخَ الكرام
وحـاتمُ يدعى الشحـيحَ البـخـيـلا

وَلُقِّبَ باقلُ "ربَّ البـــيــان"
وقسُّ عكاظ "الدعيَّ الجـهـولا"

وللشـمس قال الدجى فى غـرور:
"أراكِ ظلامًـا خـفـيًـا وبيـلا"

وخنثى الكلام قـصـيـدُ النثـيـر
تُهـينُ البـيـان.. وتُزْرِى الخليـلا
على رسلكمْ يا أفـاعى البـيـان
فهيهاتَ يعلو الفحيحُ الصهيلا
ولستُ أرى فـيكُمُـو من أصيل
ولكن أرى المستهينَ الدخيلا
فـقـالوا أردنا حياةَ البيـان
نقيًّا .. صفيًّا .. كريمًا .. ذلولا
فواعجبًا كيف يحيا البيانُ
وقد ذبحوه فأهوَى قتيلا؟!

***

فيا حرسَ الأدب اليعربى
حماةَ البيان الثِّقات العُدولا
لقد بلغَ السيلُ هامَ الزبَى
وعاث فساداً خطيراً مَهُولا
وإنَّ وراءكُمُو ما يهولُ
جهاداً مريراً وهمًّا ثقيلا
لنبْقَ وإياكُمُ فى رباطٍ
لنحمى البيان الصدوقَ النبيلا

ونشرعَ أقلامنا فى يقينٍ
فليسَ علينا سوى أن نصولا
وإن من الأدب العبقرىّ
جيوشًا تفوق القنا والخيولا
وخلّوا الجديد النقى الشريف
يعانقُ فينا التراث الأصيلا

***

وإنْ نام غيركمو فى الطريق
وشدُّوا عليهم لحافًا طويلا
وغَطّوا غطيطَ الذى لا يُفيق
فأرخى الغبارُ عليهم سُدولا
فَسُلّوا اليراع، وقودوا المسار
فَصيلا يواصل فيها فَصيلا
وكرّوا كتائبَ تحمى البيان
وخلُّوا النئوم وهزوا الكسولا
فإنَّ الجهاد عدوُّ النيام
لأنَّ المنامَ يساوى الأفولا

---

* المشكاة: اسم المجلة الشهرية التى تصدرها رابطة الأدب الإسلامى بالمغرب.
* الظَّلْم: شدة بياض الأسنان.

رسائل إلى..

- رسالة إلى سيد نصير قاتل كاهانا
- رسالة إلى بوش
- رسالة إلى بغداد

رسالة حب عاجلة

إلى سيد نصير قاتل كاهانا

ولما رأيتَ الخـيلَ قـد ريع سـربُهـا
فـأقـعت بهـا أعـرافُـهـا والقـوائم
ومـات الصـهـيل الحـرُّ فى لَهَـواتهـا
وأعـمى مـآقـيـهـا الذبابُ المنادم
وعـششَ سـود البـومِ فى صـهـواتهـا
وليس لها منجى من الكربِ عاصم
وقـيـلَ مـيـادين العـروبة أقـفـرت
وإلا فـأين الغـاضـبـون الضـراغم
وبدد مـيـراثَ الجـدود عـصـابةٌ
همـو والخطايا الفـاحـشـات توائم
فـغـابت شـهـامـاتٌ، وذلت رجـولة
وهانت كـرامـات وغِـيلت عـمـائم
وخـانَ شـقـيق كـلَّ عـهـد ومـوثق
ولذت بعـينيـه الدمـاءُ السـواجم

وداس على أهلِ القـضـيـة غـادر
حـقيـرُ الهوى دامي الأظافرِ غـاشم
وقـال دعيٌّ: إن مـصـراً أعـقـمت
فليس بهـا للغـاشـمـين مـصـادم
وسـاد بهـا الشـر الذمـيم سـفـاهة
فـمـات بهـا جـوعًـا عَـدىٌّ وحـاتم
وباتَ صـلاحُ الدين فـيـهـا مُـسـهـدًا
وجـافى حمـاها عـبـدُ شـمسٍ وهاشم
ونادى المنادى "مَنْ فتى"؟ قلتَ: "إننى
إلى الكلب كاهانِ بن صهيونَ قائم"

* * *

فـمـا هى إلا غـمـضـة وانتـبـاهة
وخـر الخـسـيسُ النذل والدمُ سـاجم
وفـر بنـو الحـاخـام من هولِ مـا رأوْا
فـلم يبـق منـهـم حـولـه من يقـاوم
وكـيـف يُصَـد الحقُّ والحقُّ غـالبٌ
وأنف الألى عـادوا الحقيـقةَ راغم؟"
رصـاصُك لو يدرى بـأنك يومـهـا
على رمْى كـاهانِ الصـهـاينِ عـازم

لأخطأ عن عمدٍ إصابةَ رأسِه
فليس له إلا النعالُ الصوارم
لذا بات ينعى حظه وهو كاسفٌ
حزين كسيرُ القلبِ غضبانُ لائم
يقول بصوت عاتب : "قد أهنتنى
أما كان غير الكلب مرمى أصادم؟"

***

سألناه : ماذا قد رأيت برأسه
وقد أعدمته المرديات القواصم؟
أجاب : "حديثى لن يحيط بما حوى
رأيت به ما لم تسعه عوالم
بحورَ جناياتٍ وخزى وخسة
وثمة ليلٌ معتمُ الدربِ جارم
وفى محجر العينين جحر ثعالبٍ
ومجرى أفاع سمها النذل فاحم
وأما تلافيفُ الحُقودِ فمخُّه
أحابيل صيد للتآمر ناظم
وفى الجهة اليسرى من القاع هوَّة
غشاها صديد مفزِعُ البخْرِ عارم

حـواليـه ذوبان وشـتى عـقـاربٍ

علـيـهـا من الغـدر الذمـيم عـلائم

وأنَّى تسِـرْ لم تلْقَ غـيـرَ كـريهـةٍ

من العـار والحـقـدُ المشـبَّبُ ضـارم

بكيتُ على نفـسى فـحظى عـاثر

ومـثلى هواهُ حـيث تجـرى الملاحم

* * *

أسـيِّـد : إمـا يسـألوك بقـاعـة

محـقـقـهم فى سـاحـهـا والمُحـاكِم

"أمـعـتـرف بـالجُرمِ ؟ أنت رميـتَـه ؟"

فـقل بيـقـين الحق والثـغـر بـاسم

"أنا مـا رمـيتُ، وإن رمـيتُ ـ وإنما

هـو اللـه رام للـظـلوم وقـاصـم

رمـتـه دمـاء الأبـرياء بقـدسنا

وفى كل نفس للضـحـايا مـآتـم

رمـتـه ثكالى قـد فُـجـعن بغـارة

بهـا اللهب العـاتى غـشـوم وجـاحم

رمـتـه الأيادى الخـضـرُ ثـارت لدينهـا

بأحـجـارها تُردى العِـدى وتهـاجم

رمتـه حقـود حـالكات بقلبـه
هى الليل مشبوب التعصب قاتم
بل انتحرَ الباغى، فلستُ بقاتل
ومن عـاش ظلامًـا رمتـه المظالم"
دفـاعك لن يجـديك شـيئًـا لأنه
دفـاع عن الحق المضـيع حـاسم
فلا تفزعَنْ إن أنكروا الحق مِنْ عَمىً
فتضـيـيعهم للحق شـرع مداوم
ومـثلك لا يأسى على عـيش ذلة
بـه الوطن العـربى عـانٍ وغـارم
ولستَ تبـالى حين تُقتَل مسلمًا
فمثلك لم يضعف وليس يساوم
وقـد قمت للجلّى بصـدق وهمـة
وأنت على نيل الشهـادة عـازم
ومن ينوِ أن يلقى الشهـادة صادقًا
كـمن نالها : فى جنة الخلد غانم

* * *

رصاصك أجرى فى الخيول عزيمة
لهـا الغرب مخلوعُ الفـؤاد وواجم

فبعد توابيتِ الليالى والأسى
ستهتك ستر الليلِ والليلُ جاثم
وينهض مُقْعيها ويصهل خارسٌ
ويبصرُ ما غشتهُ فيها غمائم
وتهوى ضوارى البومِ عن صهواتها
وتشمخ أعرافٌ وتمضى قوائم
سنابكها ترمى الشرار وضبْحُها
هزيم رعودٍ أججته مجاحم
فليس سوى حق هنالك غانمٌ
وباطلهم تحت السنابك ساهم
يروِّعه الخسرانُ من كل جانب
وتفضحه عاراتُه والهزائم

* * *

أسيدُ عشتَ اليوم والغدَ سيداً
فذكرك حى فى القلوب ودائم
تقبله منا ثغور وأعين
ومنه على صدر الشباب تمائم
مُسمَّاك من اسم "النصير" حقيقة
عليها من العز الأشم معالم

أعدتَ إلى قلب العروبة نبضَهُ
ووجه العلا للنصر جذلان باسم
فأنت نشيد وقَّع الحقُّ لحنَه
وصاغت معانيه الكبارَ مكارم

"مائيركاهانا" هو الزعيم الصهيونى المتعصب المتطرف ، زعيم حركة "كاخ"، وكان يصف العرب والفلسطينيين بأنهم أفاع وحشرات، لذا يجب طردهم ، بل القضاء عليهم. وقد تمكن "سيد نصير" – المصرى المسلم – من إطلاق الرصاص عليه فى الولايات المتحدة، فأرداه قتيلاً. وذلك فى أحد فنادق نيويورك، فى الخامس من نوفمبر سنة ١٩٩٠م.

- أقعت : قعدت واسترخت.
- الضراغم: الأسود.
- السواجم: السائلة.
- المرديات القواصم: يقصد بها الرصاصات القاتلة.
- أعقمت: عجزت عن الإنجاب.
- النعال الصوارم: الأحذية القوية الشديدة.
- كاسف: خجلان. الحقود (بضم الحاء) جمع حقد.
- جارم: مذنب.
- الهزيم: صوت الرعد.
- خارس: صامت.

***

رسـالة إلى بوش...

هذه القصيدة ألقاها الشاعر في المظاهرة المليونية التي نظمها الإخوان المسلمون في "ستاد القاهرة" مناصرة للشعبين العراقي والفلسطيني، واشترك فيها بعض الرموز الوطنية الأخرى، (وكان ذلك يوم الخميس ٢٧ من فبراير ٢٠٠٣م)، وحضرها قرابة مائتي ألف، أغلبيتهم الساحقة من الإخوان. ومنعت قوات الأمن المباركية مئات آلاف أخرى من الحضور، وأغلقت كل مداخل القاهرة في وجوه المحافظات الأخرى.

وزعمتَ بأني إرهابي
وبأني دمويٌّ مجرمْ
وبأنّي عاملُ تَخْريبٍ
وبأني رجْعيٌّ مُظلمْ
وكذبتَ؛ فذنبي تعرفهُ
هو أنّي عربيٌّ مسْلمْ
يا بوشُ حنانَكَ يا بوشُ
فعلامَ غرورُك منْفوش؟

قـــد صِـــرْتَ الآمـــرَ والناهِي
ورصـــيـــدُك نارٌ وجـــيـــوش
وأســـــاطيـلٌ، وصـــــواريخُ
وضـــمـــيـــرٌ خَـرِبٌ مـغْـشـوشُ
أرْعَـــدْتَ فـــهـــابتْك كـــبـــارٌ
وســـعَتْ تيـــجـــانٌ وعـــروشُ
مـــا فـــيـــهم إلا مـــفْـــزوع
وضـــعـــيفُ الهـــمَّـةِ مـــرْعـــوش
قـــالوا: في حِلفِك مَـــشْـــوانا
وبظلِّك نحْـــيـــا ونعـــيـشُ
يا عـــجـــبًـــا!! هل يؤْمنُ نذْلٌ
أو تحـــمـــي الغـــزلانَ وحـــوشُ؟
يـــا بـــوشُ حـــنـــانـك يـــا بـــوش
فـــعـــلامَ غـــرورك منفـــوش؟
وبحـــقْـــدٍ أســـودَ ملتـــهـب
أفـــرزَهُ عـــقْلٌ مـــهْـــروش
تمضي، وتعـــربدُ مـــا شـــاءتْ
أهواؤُك يـا مـــســـتـــرْ بوش
وطريقُك قـــد فُـــرِشَ ضـــحـــايا
بدمٍ ونخـــاعٍ مـــرشـــوشُ

وتقـــــول بأنّي إرهابي
وبأني دمويٌّ مجرمْ!!
وبأني عاملُ تخريبٍ
وبأني ذو عقلٍ مظلمْ
وكذبتَ فذنْبي تعْرِفُه
هو أني عربيٌّ مسلمْ

***

هلْ تذكرُ نكبة "هَرِشُومَا"
فَجَّرتم فيها.. الذّرّية؟
وكذلك نكبةَ "نَجَزَاكِي"
لمْ تبقُوا فيها ذُرِّية؟
لم تُبْقُوا أثرًا لحياةٍ
بل رعبًا هزَّ البشريةْ
والآن زعمتمْ - وكذبتمْ -
أنكمو حِصْنُ الحريةْ
ودعاةُ سلامٍ وأمانٍ
وحياةِ هناءٍ أبديَّةْ
لكنْ لم نلْقَ سوى ظلمٍ
وسياسة غابٍ وحشية

لا يملكُ مظلومٌ حقًّا

في أيِّ محافلَ دَوليّة

قلْ لي منْ فينا الإرهابي

منْ فينا يا بوشُ المجرمْ؟

من فينا عاملُ تدْميرٍ

من فينا ذو عقلٍ مُظلم؟

***

وزرعْتم في أرض المسْرى

دولةَ عدوانٍ وبِغاء

سرطانًا يغتالُ حقوقًا

ويدنِّس أرضَ الإسْراءِ

تَغْشاها نكباتٌ سودٌ

بليالي ظلْمٍ سوداءِ

أصحابُ الحق مطاريدٌ..

في غربةِ جوعٍ وشقاءِ

* * *

وشهيدٌ يتلوهُ شهيدٌ

ودماءٌ وُصِلَتْ بدماءِ

واللصُّ سعيدٌ وهنيٌّ
بحياةِ نعيمٍ.. ورخاءِ
والباغي عندك مظلومٌ
واللص أمينُ الأمناءِ
وضحايا الظلم ملاعينُ
ودعاةُ خرابٍ وبلاءِ
أدِمَاءُ يهودٍ قدْ صيغتْ
من ذهب صافٍ ونقاءِ
ودمُ ابنِ فلسطينٍ ماءٌ
لا يستأهِلُ أيَّ رِثاءِ؟
قل لي: منْ فينا الإرهابي
من فينا يا بوشُ المجرم؟
من فينا عاملُ تخريبٍ
منْ فينا ذُو عقل مظْلم؟

***

تلعنكم "صبْرَ" و"شاتِيلا"
ومذابحُ بيروتَ وقانا
ولُعِنْتُم في كلِّ كتابٍ
إنجيلاً كانَ وقرآنا

ويتامَى وأراملُ هاموا

ما اقتاتُوا إلا الأحزانا

وكهولٌ وشيوخٌ سُحقُوا

وعمائرُ صارتْ قيعانا

وزعمتم من أجْلِ سلامٍ

ووئامٍ جئْتُم لبنانا

فجعلتم لبنانَ شقاءً

وغرستمْ فيه الأشْجانا

وزرعتم فتنًا عمياءَ

ناصرتمْ فيها الشيْطانا

أوَ هَذا ليسَ بإرهابٍ

أمْ كانَ لديكمْ إحسانا

حقًا.. إحسانٌ فيّاضٌ

غطانا حتى الأذقانا

فعلينا جُدتْم بدمارٍ

ومنايا سودٍ مجَّانا

وتقول بأني إرهابي

وبأني دمويٌّ مجرم

وبأني عامل تخريب

وبأني رجعيٌّ مظلم

وكـــذبتَ؛ فـــذنبي تعـــرفـــهُ

هـو أنـي عـــــربـيٌّ مــــــسـلـم

***

ومــلأتَ البـــحـــرَ أســاطيــلا

وشَـــحـنْـتَ الجـــوَّ أبابـيـــلا

وجـــيـــوشٌ في البـــرِّ ألوفٌ

غـطتْ وديانًـا وســـــهـــولا

ومظـليـــون.. جـــبـــابرةٌ

قـــد جــاءُوا للشــرِّ قــبـيـــلا

والتكْنُـولُوجْـــيـــا عـــدتهمْ

تُذْهـلُ قُـــدْراتٍ وعـــقـــولا

وصـــواريخٌ.. مـــتـــلاحـــقـــةٌ

لتـــحـــيـلَ العـــمـــرانَ طُلولا

***

وزعـــمـــتمْ أنَّ نهـــوضكـمـــوُ

بجـــيـــوشٍ فـــوق الإمكـانِ

مِنْ "أجـلِ أســـامـــة بنْ لادنْ"

مـلـكِ الإرهـاب الـعــــدوانـي

ألـفــردٍ تُمْـــضُـــون جُـــيـــوشـــا

مـــاذا لـو قـــام بـهـــا ثـانـي

والثـالثُ يتْلوُ ثانيـهُمْ
مِنْ بعد "أسامَ" أُسامانِ
بل ألفُ أسامةَ يخلفُهُ
للثأرِ كموج البركانِ
ساعتها لن تجدُوا جيشًا
يحميكم غيرَ النِّسوانِ
يا بوشُ - وأقسم - ما قمتمْ
إلا بنزوعٍ شيطاني
ولضربِ الإسلامِ كدينٍ
وجهادٍ حيٍّ ومعاني
وحضارةِ علمٍ ويقينٍ
نهضتْ بالفكرِ النوراني
واليومَ بدايةُ خطتكمْ
إفناءُ الشعبِ الأفغاني
وإذن مَنْ فينا الإرهابي
مَنْ فينا يا بوش المجرم؟
من فينا عاملُ تخريبٍ
من فينا الرجْعيُّ المظلمْ؟

***

يا ليتَ ملايينَك كانتْ
لشعوب يقتلها الجوعُ
ما فيها إلا مظلومٌ
ويتيمٌ وأبٌ مفجوع
وبقايا أطفالٍ هامُوا
يُشْغِلهم مرضٌ ودموع
وشيوخ يَمْضُون حيارَى
لفظتهمْ أرضٌ وربوعُ
وثكالَى عِشْن بلا أمَلٍ
في عصرٍ ما فيهِ ربيعُ
مِنْ فيهم - قلْ لي - العدواني
مَنْ فيهم في الشرِّ ضَليعُ؟
من فيهم قل لي الإرهابي
من فيهم يا بوشُ المجرم؟
من فيهم عاملُ تخريبٍ
من فيهم ذو عقلٍ مظلم؟
واللهِ لأنتَ الإرهابي
واللهِ ما غيرُك مجرمْ

***

رسالة إلى بغداد

سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ ودخل التتار بغداد، وقتلوا فيها مليونًا من المسلمين، وخربوها تمامًا، وذلك لضعف الخليفة المستعصم، وخيانة وزيره العلقمي. والأبيات الثلاثة الأولى للشاعر مهيار الديلمي (ت: ٤٢٨هـ) من قصيدة نظمها الشاعر قبل سقوط الخلافة بأكثر من قرنين.

(فيا صاحبي أين وجهُ الصباح

وأين غدٌ صفْ لعيني غدا

أسدّوا مسارحَ ليلِ العراق

أم صبغوا فجرَه أسودا؟

وخلْف الضلوعِ زفيرٌ أبي

- وقد برد الليل - أن يبْردا)

* * *

أنادي: فأين الرشيدُ الأبيُّ

وقد حَرمَ السيفَ أن يُغمدا

وأين الجـــلالُ، وأين الجـــهـــادُ

وأيــن المنــابــرُ. والمنــتــــَـدى؟

وأين الحـــشـــودُ، وأيـن البـنودُ

وأيـن الزحـــوفُ تُـذل العِـدا؟

وأين النفـــيـــرُ، وأين الزئيـــرُ

وأين الهـــتـــافُ، وأين الصـــدى؟

وأين الحـتــوفُ، وأين الســيــوفُ

تُلاحق "نقـــفـــور" أنَّى عَــدا؟

لقـــد ذاب نقـــفـــور من ذعــره

وذاب مـن الـذعـــر مَـنْ جنّــدا

وأينَ رجـــالُ وفَـــوْا بالعـــهـــود

يـرُوعــــون بـالحقَّ قـلبَ الـردى

كـمـا البـحـر - واللهِ - فى هدْرِه

مـضى عـــاتيًـــا ثائراً. مُـزبـدا

فـــلا أمـــرَ إلا لزحفِ الحـــديد

وبـــرْقِ الأســنَّــة إنْ أرْعـــــدا

ولا نصـــــرَ إلا لدينِ الهــــدى

ولا مـــــــوتَ إلا لمن هــــددا

فـإمـا قـتـيلُ، وإمـا أسـيـرُ..
وإمـا جـريحُ هوًى .مُـقْـعدا
وإمـا شـريدُ بـلا وجـهـةٍ
لـيـقـضىَ أيامَـه .مُـسْـهـدا
وأين الأئـمـةُ، منْ فـقـهـهم
غَـدتْ كلُّ أرضٍ بـهْم مـسـجـدا؟
مـنـاراتُ حـق تـضـيء الـقـلوبَ
وتغـمـرها بـالشّـذا. والهـدى
وهيـهاتَ أُحـصى، فـمـا قـد مـضى
يـفـوق الخـيـال، إذا عُـدّدا
كـذلك كنتِ منارَ الوجـود
وكـنـتِ المهـابـة والـسـؤْدُدا

***

أبغـدادُ عـفْـواً إذا مـا فـررتُ
أعـانق فى الغـابرِ المشْـهـدا
وأحـيـا بأمـجـادكِ الماضـيـاتِ
فـحـاضـرك الـيـوم مُلْقىً سُدى
وأمـرك آلَ لـنـذلٍ غـوىٍ
وكلبٍ على قـومك اسـتـأسْدا

وعـلـج زنـيـمٍ، ولـص لـئـــــيـم
غــدا بـالخـيــانة مُــسـتـعـبَـدا
هـمـا اثنان: مُـسـتـأجَـر آثـمٌ
تقـــاضَى، وخــان، ولن يَرشُـدا
وجـيـرانُ سـوءٍ عــصــوْا ربَّهم
ومن أرضــهـم كـان وثْبُ العِـدَا
كـبـارُ، ولكن صـغـار العـقـولِ
وعـارهُمـو يُخـجـل الفـرْقـدا
طـوالٌ عـراضٌ، ولـكـنـهـم
لنجـدتـنـا لم يمـدّوا يـدا
لهم صـخَبٌ، لا تقلْ لي: الطبـول
وفـيضُ ضـجـيج يغطي المدى
رصيدهمو - غير نهب الشعوب -
من الشـجْب مـا لَمْ، ولن ينفـذا
وكم قـمـةٍ عـقـدوا، وانتـهَـوْا
وكلٌّ إلى الخُـلْفِ قـد أخْـلدا
أراهـمْ إذا نـظروا للأمـور
ضـريراً، وأعـورَ، أو أرْمـدا

وما شغلتْهم قضايا الشعوب
وعِرضٌ عليْه العدوُّ اعتدى
ألمْ ترهمْ ظاهروا إثْمه ؟
فمِنْ قوسهم نحونا سَدَّدا
فهتَّكَ منا نياط القلوب
ومزَّق - من سهمه - الأكبُدا
ولم أرَ فيهمْ عزيزَ جنابٍ
بعلم وفكر غدا سيِّدا
وما فيهمو راشُد يَفتدِى
وما منهمو عادلٌ يُفْتدَى
يعربدُ "بوش" بهم عابثًا
وهانوُا فكانوا له أعْبُدا
كأنى أرى فيهمو "العلْقميَّ"
بما قد جناه وما بدا
وكيف يكونون مِنْ ديننا
وقد سلموا للعِدا المِقودا ؟
و"بوشُ" يسوقهُمو كالقطيع
فخرّوا له رُكَّعًا سُجَّدا ؟

سنتركهم لحساب الشعوب
وما هو إلا اللظى الموقدا

* * *

أبغدادُ. دار الرشيد المجيد
أناديك. هل تسمعين النّدا؟
سلمْتِ، ودُمتِ، فلا تفزعى
فأنفُسنا لحماكِ الفدَى
سلمْتِ فقومى - برغم الجراح
وكونى عليهم ردىً سرْمدا
وسُلى من الليل وجْه الصباح
ومنْ حالكِ الكرْب هاتى الغَدا
وعيشى ضُحاكِ نَدىً الشَّذا
وخلّى نهارَ العِدا أسودا
فمازال فيك رجالٌ يرونْ
أمرَّ من الموتِ أنْ نرقُدا
وما فيهمو غير حرٍّ أبىٍّ
أبَى أنْ ينامَ، وأن يقْعدا

وكيفَ وفى عُنْقِه بيعةٌ
تناقضُ "بعثهُمو" الأنْكدا
على الحق قامت، وبالذكرِ دامتْ
وسنةِ سيدِنا أحمدا
فلا تَقْنطى. فبشيرُ الصباحِ
يشقُّ إليك الدُجى منْشِدا
وقومى وعيشى شموخَ الأباة
مثالاً لكلِّ الورى يُقتَدى
وللحقِّ والعلمِ والمكرماتِ
- كما كنتِ - كونى لها مَوْردا
أبغدادُ، فى يومِك المستباح
أرى النصَر فى غدكِ الموْعدا

***

* نقفور: هرقل الروم، نقض عهد هارون الرشيد، فزحف إليه، وأنزل به هزيمة ماحقة نكراء. ولم يكن الرشيد يخاطبه فى رسائله إلا بـ" كلب الروم ..وهذه القصيدة أهديها لبغداد، وقد مضت أعوام على سقوطها فى أيدى الأمريكان بسبب الخيانة.

دمــوع ورضـاء بقضاء الله

- الإمام الشهيد حسن البنا
- عودة مصعب بن عمير
- الراحلون إلى الله
- دمعة على أم الصابرين «زينب الغزالي»

الإمـــام الشهيد حسن البنا

رأيت الإمام الشهيد (١٩٠٦ - ١٩٤٩م)، واستمعت إليه مرة واحدة فى حياتى فى أواسط الأربعينيات، كنت فى قرابة العاشرة من عمرى آنذاك، وترك فى نفسى أثرًا عميقًا جدًا. وبعد استشهاده بعامين رأيت أحد تلاميذه يخطب فى مدينة المنصورة بمصر، وفى نبراته وطريقته بعض من سمات الإمام الشهيد، فكانت هذه الكلمات التى سجلتها فى يومياتى سنة ١٩٥١م. أنقلها كما هى دون تعديل أو إضافة، وقد مضى على نظمها أربعة وخمسون عامًا.

رأيته..
أمامَهُ من القلوب ألفُ ألف تَسْمَعُ
رأيتُه كأنما يلحن َالضياءَ والشفقْ
ويرسلُ النشيدَ من نياطِ قلبِه الكبيرْ
ترتيلةً من الذهبْ
قلْ يا إمامُ قُلْ...
وحينما سمعتُه يقولْ:
«الله غايةُ الغايات يا صحابْ»
رأيت فجرَ النورِ فى الأفقْ

وألفَ ألف محراب يُسبِّحُ
وكلَّ عينٍ في الضياء تَسْبَحُ
والأرضَ - يا للأرضِ - أصبحتْ سماءْ
والليلَ فجراً مائجاً بأقدسِ الأسماءْ
وبحرَ سرِّ الله .. لا يُحَدْ
الحيُّ، والقيومُ والجبارُ
والسميعُ والعليمُ والغفورُ والأحدْ..

***

قلْ يا إمامنا حَسَنْ
فكلُّ ما تقوله حَسَنْ
«زعيمنا محمدٌ.. له الولاء
وغيرهُ في عصرنا ادّعاءْ
وحبه فريضةٌ مؤكدة
صلى عليه الله والملائكة»
وعندها.. رأيُتُه... محمدا
وراية «العُقاب» تمخرُ
وتحتها جنوده - إذ يزحفون
نحو بدر
وكلهم يفْديه بالعيونِ والقلوبِ والولَدْ

وكلهم أسدْ
يقينه بالله لا يحده أمدْ
رأيتهم في كرِّهمْ وكرهمْ
والكافرين في انكسارهم وفَرّهمْ
وعندها.. رأيتها «العقاب»
في ازدهائها العظيم تَبتسِمْ
«قد جاء نصر الله، فاسجدوا
وهللوا.. وكبروه.. واحمدوا..»

***

قلْ يا إمامنا حسنْ
فكلُّ ما تقوله حسنْ
وإنك البنَّاءُ في السرَّاء والمحنْ
«الموتُ في سبيل الله ..
أسمى الأمنيات والمننْ
قد خاب قوم طلقوا الجهادَ والجِلادَ
واستجابوا للوهنْ»
ونلْتَ يا إمامنا العظيمَ ما اشتَهَيْتْ
إلى السماء - سيدى - قد ارتقيت
إلى جوار الله - سيدى - لقد علَوتْ

***

عـــودة مصعب بن عمير

شـــهيد من أرض الحـرم

- كان مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف من بيت غنى ومال، وقد هرع إلى الإسلام شابًا، وتخلى عن كل هذا النعيم والمال والجاه، وكان أول داعية لرسول الله (عليه الصلاة والسلام) فى المدينة قبل الهجرة، وحمل لواءه فى أحد، وفيها استشهد، وفى مارس سنة ١٩٨٨م كنت فى إسلام آباد، وعلمنا باستشهاد شاب من أثرياء السعوديين آثر أن يترك متاع الدنيا مجاهدًا فى صفوف المجاهدين داخل أفغانستان. فكانت هذه القصيدة.

(١)

وَيْحَ نفسى..!!
ماتَ ميلادى القديمْ
إننى فى حاجةٍ حَرَّى..
لميلاد جديدْ
نابعٍ كالفجرِ من صُلْب الحقيقةْ
بنسيج ثائرِ النبْضِ
لهيبِ العُنْفوانْ
ودماءٍ من مضاءْ

وضميرٍ منْ ضياءْ
وجبينٍ من إباءْ

(٢)

يا دنيا غُرِّى غيْرِى
هل أنت إلىَّ تعرضْتِ
أم أنت إلىّ تشوقْتِ
هيهاتَ - أُسلِّمُ - يَا دنيا
يا دنيا ما أعظمَ خطرَكْ!!
يا دنيا ما أقصرَ عمرَك!!
ما أهونَ زادَك يا دنيا!!
والدربُ طويلٌ وشريدْ
والسَّفرُ شقِىٌ وبعيدْ
والزادُ الحقُّ هو التقْوى
لا ما تهْوينَ
وما أهْوى..

(٣)

ما الذى قد غيَّرَكْ
فأخرجَكْ؟
تتركُ المالَ
وظلَّ الروْضِ
والزوجةَ

والسهلَ الذهبْ؟!!
تهجرُ السيارةَ المرْسيدسَ الفخمةَ
والعطْرَ..
وأملاكًا عجبْ؟!!
والشفاهَ اللُّمْيَ
والخدَّ الأسيلْ
والأغانى..
والأمانى
وانتشاءاتِ الأصيلْ؟!
ما الذى
يا أيها الإنسانُ.. قل لى:
غيَّرَكْ؟!
دفترُ الشيكات..
فى الدُّرْجِ الشمَالىِّ من المكتبِ
ما عادَ لهُ فى قلبِه
أىُّ حسابْ
والرَصيدُ الضخمُ فى البنْكِ
هوى فى ناظريه..
لم يعدْ يعدلُ حتى شسْعَ نعْلهْ
غيرُ صوت الحقِّ فى أَعماقِهِ
أضحى خرَابْ

أمُّ كلثومٍ
وفيروزٌ
وسلْمَي
وعتابْ
كلٌّ هذا طعمُهُ ملْحٌ
وتَنْعابُ غرابْ
وضياعٌ واغترابْ
وكئوسٌ من سَرَابْ

(٤)

من ذا الذى قدْ غيَّرَكْ
وأخرجَكْ
وحوَّلكْ
من بلبلٍ عاشَ الوداعةَ
والسكينةَ
والرفاهةَ
والنِعم
لكاسرٍ
ضارِىَ العزيمة
همُّهُ خوضُ المعَاركِ
والفيالقِ
والخنادقِ

والضَّرَمْ؟
سبحانَ منْ سوَّاكَ
ثم عدَّلَكْ
فى صورة شمَّاءَ
شاء رَكَّبَكْ
يأيها الإنسانُ
- فى ساحاتها -
ما أعجبَكْ؟

(٥)

قد كان ثم صارْ
من جدةٍ
لغزْنَة
لقنْدهَارْ
حيثُ الجليدُ
والحديدُ
والزحوفُ
واللظى الموارْ
حيثُ الجبالُ السودُ
والقفارْ
حيثُ الهزيمُ والدمارْ
وغربةٌ...

بعيدةُ المدى عن الديارْ
لكنه فِي زحفهِ.. وعصْفهِ
- رأيتُهُ -
كمارجٍ من نارْ
سلاحُهُ الرشاشْ
واليقينْ
والنهارْ
رأيتُهُ
في زحفه وعَصْفه
للّيلِ والَمدَى وللَصَخورِ..
مَنْ زحوفهِ انبهارْ

(٦)

يا مصعبُ الجديدْ
يا عزمةً حديدْ
طوبى..
فقد هويْتَ
في مضمارِها شهيدْ
طوبى
لكَ الخلودُ
في مُقامكَ السعيدْ
يا مصعَبُ المجيدْ

الراحلون إلى الله...

فى رثاء الدكتور أحمد كحيل، والدكتور سعد ظلام، والدكتور عبد الحميد العبيسى، ألقيت فى تأبينهم بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر يوم الاثنين ٦/ ١٢/ ١٩٩٩م.

لقــد دُعِــيتُ لكىْ أرثى الأُلَى رحلُوا
ثلاثـةً من رجـــالِ العلْمِ والديـنِ

ونـذْرفَ الآهةَ الحــرَّى مُــضَــرَّجــةً
بنـازفٍ من دمــوعِ القلبِ مــحــزونِ

لكنَّ دمْعِى الذى إنْ فـاضَ لاعـجُـهُ
مـهـمـا استجابَ ولبَّى ليسَ يشفينى

وقلتُ: مهْما أقلْ فالكربُ يعصرنى
ولنْ يفى بعـــمـــيقِ الحــزْنِ تأبينى

واحَــرَّ قلبى، فـقــوسُ الدهر عـاتيــةٌ
ترمى الســهــامَ بأكـبــادِ الأسـاطينِ

كـأننى حـينَ أبكيــهمْ، وقـدْ رحلُوا
أبكِى الأخــوَّةَ والقــربَى، وأبكينى

سعدٌ، وأحمدُ، والتالى عُبْيسُهُمُو
كانوا المنارةَ فى غُرٍّ ميامينِ
أحمدْ كُحيلُ، رأى ميدانَه لُغةً
سمَا بها الوحىُ فى طَهَ وياسينِ
لغةَ السماءِ التى عاشتْ مخلَّدةً
بآى قافٍ مع الإسراءِ والتينِ
لها من النحْوِ درعٌ تستعيذ به
كمنْ يعوذ بحصنٍ أو بقانونِ
وذاكَ "سعدُ ظلام" طابَ منطقُهُ
كلؤلؤ فاتنِ الإشراقِ مكنون
كم فاضَ منهُ قصيدٌ ساحرٌ عَطِرٌ
كبلبلِ الروضِ يشدُو بالأفانينِ
ليصبحَ الكونُ جناتٍ منعَّمةً
كأن أشجارَها من حورِها العينِ
"أطيافُ ليلك" و"الأدواحُ" شامخةٌ
فلم تذلّ لإعصارٍ.. وتهْوينِ
ومن "بقايا اغترابٍ" صُغْتَ ملحمةً
لا بالبراعة، لكنْ .. بالشرايين[1]
لكنْ إذا مسَّ عادٍ عِرْضَ أمتنا
أو همَّ يخدشُ شيئًا من حمَى الدين

غدا قصيدك يا "سعدَ" العلا ضَرَمًا

حروفهُ الجمرُ يهمي مِنْ براكينِ

وأصبحَ القلمُ السيَّالُ عاصفةً

تجتاح كلَّ دعيِّ الفكرِ .. ملْعون

إنَّ الحليمَ إذا ما ثار ثائرُهُ

فليس يُغْلَبُ حتى منْ ملايين

وذا أديبٌ لهُ فى النقد موهبةٌ

يمزّق السِّتْرَ عن غِرٍّ ومأفون

فى ساحةِ ظلمَ الإبداعَ منْسرُها

فالغثُّ كالدرِّ، والعملاقُ كالدون

وأصبح النقدُ لا يعدُو مُجاملةً

لا ، بل نفاقًا بلا عقلٍ ولا دينِ

أوْ كرَّ جانٍ غشومٍ ناقمٍ أبدًا

على الأصيلِ بحقدٍ .. كالسكاكينِ

"عبدَ الحميدِ العبيْسى" نلْتَ منزلةً

تعلُو على كل مَرْئى .. ومظنونِ

كمْ التقينا على الإسلامِ فى أدبٍ

كأنه الشهدُ فى شكلٍ .. ومضمون

يسترفدُ السحرَ من قرآن خالقنا

ومنْ حديثِ رسولِ الله والدينِ

ومن تراثٍ غنيٍّ طابَ مــغْــرسُـــه
وبالخلود.. وبالإيمـــانِ مــقـــرون
شـــعـــرٌ ونثـــرٌ.. عطاءٌ زاخـــرٌ أبدًا
يجودُ بالروْحِ.. دوما.. والرياحينِ
يأبَى الحداثةَ نهْجًا في مســيــرته
فالنجمُ في الأفْقِ لا يهوِى إلى الطين
"عبدَ الحميد العبيسي" كيفَ تتركنا
فـــجـــاءةً دونَ توديع.. وتطْمـــينِ
وكيفَ ترحلُ والشوْط البعيدُ مَدى
ما زالَ يدعوكَ للجُلَّى.. ويدعوني؟
يا منْ رحلتمْ لدارٍ لا يضـــامُ بهـــا
مَن عـــاشَ للعلمِ والقـــرآنِ والدينِ
فـمـــا زرعتمْ سـيُـؤْتي كلَّ باسـقـةٍ
تغـيظُ كل كـفـورِ القلبِ مجنونِ
في ذمـــةِ اللهِ والرضـــوانُ مـغـنمكمْ
مع النبــيــين في عِــزٍّ.. وتمكينِ
في ذمـــةِ الله مـثْـواكمْ.. ومنزلكمْ
جناتُ عـدنٍ وأجـرٌ غـيـرُ ممنون

(١) ما بين الأقواس إشارة إلى دواوين الدكتور سعد ظلام.
"أطياف في ليل الغربة – أدواح وأعاصير – بقايا اغتراب".

دمعة على: أم الصابرين زينب الغزالي

السيدة المجاهدة زينب الغزالي الجبيلي (١٩١٧م - ٢٠٠٥م)

عاشت للإسلام بالدعوة، وكلمة الحق في صف الإخوان المسلمين، سُجنت في عهد عبد الناصر سبع سنين، وعُذبت تعذيبًا فوق طاقة البشر، ولها تفسير قرآني، وترجمة لحياتها، وكتب دعوية أخرى.

وقد لقيت ربها مساء الأربعاء ٣/ ٨/ ٢٠٠٥م، وهذه القصيدة ألقاها الشاعر في سرادق عزائها بالقاهرة مساء الجمعة (٥/ ٨/ ٢٠٠٥م) أمام جمع حاشد من الإخوان والمعزين من الشعب المصري والمسلمين والعرب.

بكيْتُ، وقلبي في الأسى يتقلبُ
فجاء رفيقي مُفزعًا، وهو يَعتبُ

وقال: أتبكي والقضاءُ محتم
وليس لنا من قبضة الموتِ مَهرب؟

فقلتُ: تعالى اللهُ، فالحزنُ ساعرٌ
قويٌّ، عتيّ، والفقيدةُ زينبُ

ولو كان فضلُ الراحلين مراثيًا
لجادَ بمرْثاها الحطيمُ، ويثربُ

فــلا كلُّ مــفــقــودٍ يُراع لفــقْــده
ولا كــلُّ حيٍّ فـــائقٌ، ومــــحـــبَّبُ
ولا كلُّ من يحيــا الحيــاةَ بحــاضــرٍ
ولا كل من فى القبــرِ مــاضٍ مغيَّبُ
فـــإن خلودَ المرْءِ بــالعـــمــل الذى
يقــودُ مــســارَ الخــيــر لا يتــهــيَّب
أناديك - أمَّ الصــابرين - بمهـجـتى
وكلِّى دعـــــاءٌ مِنْ سناكِ مُطيَّب
ســلامٌ وريحـــانٌ وروْحٌ ورحـــمـــةٌ
عـليـك، وممدودٌ من الظـلِّ طـيـب
فــقــد عــشْتِ بالحق القــويم منارةً
تــشــدُّ إليـــهـــا كلَّ قلبٍ وتجــذب
وكنتِ - بحقٍّ - منبعَ الحبِّ والتُّقى
ومــدرســةً فـــيـــهـــا العطاء المذهَّبُ
ودارُكِ كــانتْ مــثـل دار "ابن أرقم"
تخــرّجَ فــيــهــا من بناتِك أشْــهُبُ
فَــرُحْنَ - أيا أمــاهُ - فى كلِّ مــوطنٍ
يــربِّيـن أجـــيــــالاً على الحقِّ أُدِّبوا
شــبــابًا حــيــيًّــا فى شجــاعــة خــالدٍ
له الحقُّ نهــجٌ، والشــريعــةُ مــذْهبُ

يفـــرُّون عند المغــريات تعــفــفــا
وحــين ينادى الرَّوعُ هبّــوا وأجْلبــوا
ومن كــان للحقِّ القــويم نـهــوضُــهُ
فليس لغــيــر الله يرضى ويغْــضب
ولا ضــيــرَ ألا تُـنجـبى، تلك حكمـةٌ
طواها عن الأفــهــام ســرٌ مُـحــجَّبُ
فـقــد عـشْتِ أمًا للجـمــيـع ، وأُمَّةً
يبــاهي بك التــاريخَ شـرقٌ ومـغــربُ
وكنتِ لســان الحقِّ فى أمــةٍ غَــفَتْ
كـأنـهــمــو عن عــالـم الناس غُــيَّب
وقلتِ : كـتابُ الله فـيـه شـفـاؤكمْ
وبالسنة الســمــحــاء نعلو ونغْلبُ
وقلتِ : هو الإســــلامُ دينٌ ودولةٌ
وقــومــيــةٌ نعلو بهــا حــين نُنْسب
وأن النســاء المسلمــاتِ شــقــائقٌ
لجنسِ الرجــالِ المسلمــين وأقْــرب
لهنّ حــقــوقٌ قــررتهــا شــريعــةٌ
مــن الـلــه حــقٌ نــاصــعٌ ومُــطـيَّــب
وقـد كنَّ قبـل الدين كـمًّا مـهـمَّشًـا
كــسـقْط مـتــاع يُسـتـبــاحُ ويُسـلب

بذلك - يا أمـــاه - كنت منارةً
فأهْوَى صريعًا جاهلٌ متعصبُ
وأحييْتِ بالعزم الأبِّى ضمائرا
تعاورها بومٌ ضريرٌ وأذْؤبُ
فأغضبتِ فرعونَ اللعينَ وقد بغَى
لتستسلمى للظلم أيّانَ يرغبُ
فقلتِ: لغير الله لم أُحنِ جبهتى
وللحقِّ صولاتٌ أعزّ وأغْلَب
ولاقيتِ - يا أماه - أبشعَ محنة
يخرُّ لهوْليْها شبابٌ وشُيَّبُ
صَبرتِ - وضجَّ الصبُر من صبرك الذى
أذل كبارًا فى الفجور تقلبوا
وجددتِ ذكرى أمِّ عمارِ التى
تحدَّتْ أبا جهلٍ ومن كان يصحب
فكانت - بفضل الله - خيرَ شهيدة
وليس كتحصيل الشهادة مكسب
وقلتِ: - أ يا أماه - حسْبِىَ أننى
على درب طه أستقيم وأضْرِب
فكان ظلامُ السجنِ نورًا مؤلَّقا
من الملأ الأعلى يطوف ويُسكب

أنيسُك فيه النورُ والفجر والضحى
كما يُؤنس الإنسانَ فى التيه كوكبُ
وكانت سياط الظالمين شهادةً
بأن دعاةَ الحق أقوى وأصلب
فكانوا - بفضلِ الله - أُسْدا رهيبة
وهل يغلب الأسْدَ الرهيبةَ أرنبُ؟
وخر من الإعياء جلادك الذى
تعهد أن يُرْديك وهو يُعذِّب
فقلت: تعالى الله، يهوى معذِّب
ويبقى رفيع الرأس حُرًا معذَّب
سجينةَ حقٍّ لم ينلْ من إبائها
عتاةٌ على قتل العباد تدربوا
وغايتهم فى العيش مُتعة ماجنٍ
وعدتهم فى الحكم نابٌ ومخلب
وكلّهمو فى الشر والعارِ ضالعٌ
وللحقِّ نَهَّابُ عُتلٌ مخرِّب
كأن عذاب الأبرياء لديْهمو
ألذُّ من الشهد المذاب وأعذب

أيُلقى بقاع السجن من عاش مؤمنًا

ويطلق لصٌّ آثم القلب مذنب؟!

يُجنّ أميرُ السجن: أنثى ضعيفةٌ

تُذلّ رجالى بالثبات وترعب؟!

أعيدوا عليها موجةً من سياطكم

وركْلاً وصعقًا علّها تتذبذبُ

ولم تُجْدِ فيها: لا الكلابُ ينُشْنَها

ولا القيدُ والسجان بالسوط يُلهبُ

فيصْرخ: أنثى لا تبالى ببأسنا

فلا السوط جبارٌ ولا الكلبُ مرعب؟!

فهان عليها سَوطنا وكلابنا

أذلك سحرٌ؟ بل من السحر أغربُ

إذن لن أُرقَّى، سوف يغضب سيدى

ويا ويلتاهُ إذ يثورُ ويغضبُ

"ويلعنُ خاشى" إذ أفاق على يدى

وقد كان فى أُنسٍ يهيصُ ويشربُ

ولم يدرِ أن الله أقدرُ منهمو

وأن سياطَ الله أقوى وأغلبُ

وأن فـصـيل المؤمنين يفـوقـهـم
ثبـاتًا وعـداً، لا يخـاف ويرهبُ
فـإن غـالطوا قلنا : الجنائزُ بيننا
سَلُوها ؛ فحكم الموت ما كان يكذبُ
مـئـاتُ ألوف فى الجنازة حُـضَّـرٌ
ولم تْدَعـهم أمّ ولم يدعـهم أبُ
ولـكنـه الإسـلامُ ألّف بيـنـهـم
وجَـمّـعـهم حبٌ مكين مـقـرِّبُ
فإن كنتِ قد غادرتِ دنيا بزيفها
إلى عـالمِ الخلْد الذى هو أرحَبُ
سـتلقـيْن أمَّ المؤمنين خـديجـةً
وفـاطمـةَ الزهراءَ فـرحى تُرحِّبُ
وحفصةَ والخنساءَ والصفوةَ التى
ظللن شموسًا للهدى ليس تغربُ
عليك سـلامُ الله فى الخُلْد زينبُ
وإن نعـيـم الله أبقى وأطيب
مضيتِ بذكرٍ ليس يُكتب أحرفًا
ولكنـه بالنور والعطر يُكتبُ

***

أناشيد

- نشيد الزحف الأفغاني
- نشيد ريح الجنة
- نشيد يوم الدم

نشيد الزحف الأفغانى

إلى كـــابلٍ يا جنودَ الرســـولْ
وخلُّوا الســـيوفَ تصـــولُ تجـولْ
إلى كـــابل يا جنود الرســـول
وخلوا الســـيوف تصـــول تجـول

* * *

إلى كـــابل كى تفكوا الحـــديدْ
عن الشـــعب هذا الأبى العنيـــد
ويُسـحقَ ليلُ الأسى والعـبيـد
ويُشـرقَ نورُ الكتـاب المجيـد
فـتـزهرَ كلُّ الربى والحـقـول
إلى كـــابل يا جنود الرســـول

* * *

أخى استُشْهـد الأمسَ فى قنْدهارْ
وكــــان أخى وأبى والنهــــار

فـمـات ليُـطلِعَ شـمسَ الفـخـار
ويســـقى الكـرمْـلنَ ذلاً ونـار
قـــضى راضيَ القـلـبِ وهْو يقـــول
إلى كـــابـل يا جـنـود الرســـول

* * *

فـمـا كـان مـثلي ليـسـتـسلمـا
ومـــا هُنْتُ يومًـــا أنا المسلمـــا
سلوا الموتَ عنيَ إن حـــوَّمـــا
ولـيـــلَ المـلاحـمِ والـظـــالمـا
أنا الحـشــدُ والمجـدُ حـين أصــولْ
إلى كـــابـل يا جـنـود الرســـول

* * *

إلى كـــابـل فـــالتـــلالُ هنـاكْ
تـريـد لقـــاك وتـهـــوى هواك
لتـسقيَ مـوسكو كـئوسَ الهـلاك
فليس لهـــا من مـغـيـثٍ سِـــواك
ومن كـــابـل زحـــفنا للخليـلْ
إلى كـــابـل يا جـنـود الرســـول

---

* إسلام آباد - يونيـو ١٩٨٦م

نشيد ريح الجنة

هـبِّـي ريـحَ الجـنـةِ هـبـي
هـبـي ريـح الجـنـة هـبـي
واشـوقـاه للُـقْـيـا ربى
ورسـولِ اللهِ وللصـحْب

***

هـبـي ريـح الجـنـة .. هـبـي
هـبـي ريـح الجـنـة هـبـي

***

إنا قـمـنا لهـبًـا عـاصفْ..
ضـدَّ الكفـر وضـد الغـصْب
وسـلاحي مـدفـعيَ القـاصف
ويـقـيـني نـورٌ في قـلبي

***

هـبـي ريـح الجـنـة .. هـبـي
هـبـي ريـح الجـنـة هـبـي

***

إن جَـنَّ الليلُ فـرهبـانُ
نـسـجـد لله على قـرب

أمَّـا في الصـبحِ فـفـرسـانُ
للضـربِ ونيـرانِ الحـربِ

***

هـبـى ريـح الجـنـة .. هـبـى
هـبـى ريـح الجـنـة هـبـى

***

بـالحق سـنـهـزمُ أعـدانا
ونذيقـهـمـو طعمَ الرعب
ونحـقـقُ نصـراً.. رنانا
في الشـرقِ صـداه وفي الغـرب

***

هـبـى ريـح الجـنـة .. هـبـى
هـبـى ريـح الجـنـة هـبـى

***

أو نلقى اللهَ شـهـداءَ
يا مـا أعظمَـهُ مِن كـسْبِ
أن نحـيـا سـعـدا وهناء
بنعـيـمٍ نشـوانٍ عـذب

***

هبى ريح الجنة .. هبى هبى ريح الجنة هبى
هبى ريح الجنة .. هبى هبى ريح الجنة هبى

نشيد يوم الدم

تقـــدمـــوا ... تقـــدمـــوا
فـــــاليـــــومُ يـومُك يـا دمُ
ولـن يـكـونَ مــــسـلمــــا
مـن ينـحـنـى أو يُحــــجـِمُ

يا مـن غـــصــبـــتم أرضَنا
بـأرضِنا لـن تـنـعـــمـــوا
هـى قــبـــرُكم ..وإنـهـــا
عـلـيـكمـــو .. جـــهـنم

تقـــدمـــوا ... تقـــدمـــوا
فـــــاليـــــوم يـومك يـا دم

ولـن يكـون مـــسـلـمــا

مـن يـنـحـنـى أو يـحــجـم

* * *

عـمِّـرْ سـلاحَكَ لا تـهُـنْ

لا يـعــرف الـديـنُ الـوَهَـن

فـديـنـنـا دينُ الجـهـا

دِ لـلإلـهِ والــوطــن

* * *

تقـدمـوا ... تقـدمـوا

فــالـيـوم يـومـك يـا دم

ولـن يكـون مـسـلـمـا

مـن يـنـحـنـى أو يـحـجـم

* * *

مـا ذَلّ قـومٌ جـاهـدوا

وسـيـفـهـم لا يُغـمَـد

حـيـاتـهم سـاحُ الـوغَـى

ومـصـحـفٌ ومـسـجـد

* * *

تقـدمـوا ... تقـدمـوا

فــالـيـوم يـومـك يـا دم

ولن يكون مسلما
من ينحني أو يحجم

* * *

إن تنصروه ننتصرْ
مهما عدونا كثُرْ
إمامُنا قرآننا
وأحمدٌ خيرُ البشر

* * *

تقدموا ... تقدموا
فاليوم يومك يا دم
ولن يكون مسلما
من ينحني أو يحجم

* * *

تهانٍ وإخوانيات ومداعبات

- باقة شعر لصحيفة "آفاق عربية"
- امضي ودومي يا زهور..
- تحيتي للمحامين بالإسكندرية
- إلى صفوة الأحساء
- المعلقة الحامدية أو وثيقة الولاء
- النمرة غلط
- إلى أحمد أول أحفادي
- أعياد البحيرة

باقة شعر لصحيفة "آفاق عربية"

بمناسبة وثبتها التجديدية المباركة، بعد إصدارها «نصف ألف» من الأعداد. بارك الله فى جهدها وجهادها.

نصفَ ألف أصدرتِ يا «آفاقُ»
مِلْؤها العطرُ والسنا الألأَقُ
نصفُ ألف، بل ألفُ ألفٍ تجلَّتْ
وتباهت بذكرِها الآفاقُ
فى زمان نرى «الصحائفَ» فيه
ملؤها العارُ والهوَى «الرزَّاق»
فاعتلَى الفكرَ آثمٌ وجهول
وغبيٌّ، وعابثٌ .. أفّاق
وغدا للضمير فيه مزادُ
ومياهُ الوجوه فيه تُراقُ
«والدنايا ولا المنايا» شعارٌ
وسبيلُ الوصولِ فيه النفاقُ
وعلى الدرب ساد فينا «الرفاقُ»
واللصوصُ الكبارُ والفُسَّاق
والهوانُ الذليلُ سمَّوه سلما
والرجولاتُ أمرُها لا يُطاقُ

والنضالُ الشريفُ غدرٌ وحمقٌ
وانتحار، وضيعة واحتراقُ
والظلومُ الغشومُ للعدل ربٌّ
وأخو الحمقِ فائق سبَّاق
واختلالُ الحكام خيرُ صوابٍ
وانفتاح، ومنهج خلاَّق
والذميمُ الدميمُ شمس وبدر
وهْو مِسْخ، وظلمة، ومَحاق
ونعيقُ الغربانِ لحن شرود
من صداهُ تمايلَ العشاق
وادعاء الآدابِ فتح مبين
والحداثاتُ سحرُها برَّاق
وأخو الحقِّ ضائع ومُهان
و«الأصالاتُ» فتنة وانغلاق
إنه صوتُ صُحْفنا ضللتنا
بخداع، وما لها .. ميثاق
سوَّدتْ صفحةَ النهار بعارٍ
فاستجارت من حبرها الأوراقُ

***

ثم هلَّتْ فى أُفْقنا «الآفاق»
صوتُ حقٍّ، ونورُها دفّاق

وأهابتْ بكل حرّ شريفٍ
فاستجبنا، وكلُّنا مشتاق
ونهضنا، سلاحنا القلم البنّا
ءُ، والهمةُ التى لا تُعاق
قلم عاشَ للحقيقة حصنا
وهْو للبغى والهوى صعّاق
وبه اشتد قلبُ كل كسير
والمعانى الكبارُ والأخلاق
قلم دينُه قويم وثيق
ويُرويّه قلبىَ الخفّاق
وَسعَتهُ «الآفاقُ» حراً أبيّاَ
طابَ منها الفروعُ والأعراق
فهْى روضُ الأحرار فى كل فنٍّ
عزَّ فيه الإثمارُ والإيراق

***

دمتِ حصنًا للحقّ يا «آفاق»
وفدَتك النفوسُ والأحداق
ووقاكِ الإلهُ شرَّ ظلوم
وسُكارَى - من الهوى - ما أفاقوا
انهضى، واسلكى سبيلَ المعالى
فَلَكِ النصرُ والخلودُ صَداقُ

امضى ودومى يا زهور..

في يوم الثلاثاء ٢٤ من أبريل سنة ٢٠٠١م، كان اللقاء في جمع حافل بالنادي النهري لنقابة الصحفيين، حيث وزعت الجوائز على الفائزين في المسابقة التي قدمتها مجلة "الزهور"، وفي الحفل ألقيتُ هذه القصيدة.

هلَّ الربيعُ المستنيرْ
يُضفي على الدنيا عبيرْ
فكسا الطبيعةَ بالثيا
بِ الخُضْر والزهرِ النضيرْ
وتراقصتْ - من نشوةٍ -
كل الجداولِ.. والطيورْ
والأُفْق طلْقٌ.. رائقٌ
ونسيمُهُ يُحْيي الشعورْ
هذا هو السحرُ الحلا
لُ، ونعمةُ اللهِ القدير
في كلِّ روضٍ فتنةٌ
تَسْبي المشاعَر والضمير

وسكرْتُ من سحرِ الجما

لِ الفذِّ، لكنْ لا خمورْ

وهتفتُ سبحانَ الذى

خَلَق الجمالَ بلا قصورْ

***

لكن ربيعَ العام - وا

أسفاه - ذو عمر قصير

فصلٌ من العامِ الطو

يل يعيشُ فى الدنيا شهور

يتلوه - فى فصلٍ - خري

فٌ جائرٌ .. نَهِمٌ جَسورْ

يقْضى على روحِ الجما

لِ الحلْوِ فى عَسَفٍ مريرْ

ويجردُ الأشجارَ مِنْ

ورقٍ، ومن ثمرٍ نضير

يا للخريف المرِّ أخْ

رسَ كل هاتيكَ الطيور

حَرمَ الطبيعةَ حسْنها

وجداولَ الروض الخريرْ

والأرضُ جـــــدبٌ بـائـسٌ
مِنْ بعـــد أن كـــانتْ حـــرير
لـــكـــن ربـــيـــعَ الـــروحِ روْ
ضٌ خــــالدٌ فــــوق الـدهـور
فـــهْـــو النـســيجُ الحقُّ مِنْ
حبٍّ، وفـكـرٍ لا يَـبـــــورْ
وهْوَ الـسـكـيـنـةُ والـرضـــا
وهْوَ الـضـــيـــاءُ المســتنيـــر
فى ظلِّه تحــيـــا المشـــا
عــرُ، والقــرائحُ والضــمــيــرْ
فـــهْـــوَ الـربـيـعُ الحقُّ فى
عـــصـــرِ الضـــلالة والغـــرور
كمْ عِـــشْـــتُـــهُ بالعـــقلِ والـ
وجـــــدانِ فـى روضِ "الـزهـور"
صــفــحــاتُهـا الـسـحـرُ الحـلا
لُ، أنَا بِـهـــا أبـدًا فــــخــــورْ
فـــيـــهـــا غـــذاء العـــقل والـ
روح الأبيـــةِ والـشـــعـــورْ
كلمـــاتُهـــا صِـــيـــغتْ عطورْ
وبـيـــــانُـهـــــا هَـدْىٌ ونـور

للفــــردِ، والبــيتِ الذى

يبـغى الســعادةَ والحبــورْ

جَــمَــعَتْ إلى العــصرىِّ صـفْـ

ـو تراثِ أُمَّــتِنا الطهــورْ

هذى مــــجلتُنا "الزهور"

بالصــدقِ تصــدرها زهورْ

من مــثلِ "ناهدَ" أو "هنا

ءَ" و"عـــزةٍ" والأختِ "نور

و"نهــادَ" مع "إحـــسانَ" أو

"إيمــانَ" بالجــهدِ الوفــير

و"صلاحُـهـا" فـيـهـا أمـيـرْ

بالعــزم والعــقل البـصــير

يمـضى بإيمــانِ التُّــقـا

ةِ مُـسـيِّــراً كلَّ الأمــورْ

يرعَى "الزهور" بحــبِّــه

وبحكمــة الشـيخ الوقــورْ

فــامـضِى، ودومى يا زهورْ

فــلأنتِ نورٌ فــوق نورْ

***

تحيتي للمحامين بالإسكندرية

القيت في مؤتمر الحريات الذي عقد بناديهم بجليم بالإسكندرية مساء الخميس ٢٤/ ١/ ٢٠٠٢م.

يميل القلبُ للقلبِ
وتهفو العينُ للعين
وتسعى الروحُ نحو الرو
ح طيفًا آسرَ اللحْنِ
تذوبُ بإلْفها حبًّا .
بلا شكلٍ ولا لونِ
فتغدوُ الروحُ واحدةً
وقد حلتْ بجسمين
ولو أنفقتَ ما في الأر
ض ما ألَّفت قلبين
ولا جَمَّعتَ بعد البيـ
ـن ما بين الشتيتين

ولكن شاء خالقنا..
وبارئنا بذا الكونِ
يُجمِّع بيننا في الحقّ
والإصرارِ والفنّ
فها جمعُ المحامينَ
وقد جاءوا على يُمْن
ورفعُ الظلم غايتهم
بلا ضنٍّ ولا مَنٍّ
بلا ضعفٍ.. بلا وَهَنِ
بلا بُطءٍ ولا جُبْنِ
فبُورك في مسيرتكم
فأنتم زينة الشعرِ
وأمتكم.. تناديكم..
لقهر الظلم والشر
فكم عانتْ - وما زالت -
من العدوانِ والقهر
وحكم مزق القانو
ن بالأنياب والظفر

وإن الله مهلكهُ
ولم ينجبْ سوى الخُسر
وما انتصرت في القُنا
بغير العدلِ والفكر
فسارتْ راية التوحيـ
ـدِ بالأنوارِ والعطرِ
وديست رايةُ البهتا
نِ والجبروتِ والكفر
فتوحٌ همها التنويـ
ـرُ كانت مفخرَ الدهرِ
بلا قهرٍ، ولا كبرٍ
ولا جورٍ ولا غدرِ
فعاش الكونُ في يسرٍ
وفي أمنٍ وفي خيرِ
بأنوار من الرحمـ
ـنِ والفرقانِ والفجر
وأنوار من الإسرا
ءِ والإنسانِ والحِجْرِ

وأنــوار مــن الأعـــــــــرا
فِ والأنفـــالِ والعـــصْــــرِ
أحـــبـــتَنا مـــحـــامي الشـغْـ
ـرِ أنتم قـلعــــةُ الشــــغــــر
أذكـــــــرُكم بـهــــــذا المجـ
ـدِ ؛ فـــالتـــوفـــيقُ بالذكــرِ
لـنـبـــــعـــث ذلـك المـاضـى
بما فــــيـــــــه من الـفـكـر
ومـــا فـــيـــه من الأخـــلا
ق والآيات والسِّــــحـــــر
ومـــا فـــيـــه مـن الأبطـا
لِ والـعـلـمــــاءِ والغُـــــرِّ
كـــعكـرمــــةٍ وحــــســـانٍ
وكـــالسِّـــبطين أو عـــمـــرو
فـــمـن يُعـــرض عـن الماضـى
فـــحـــاضــــرهُ إلى قـــبـــر
كـــمــــا يذوى النبـــاتُ النضـ
ـرُ إنْ يُفْــــصـلْ عـن الجــــذر

***

إلى صفوة الأحســاء

في يوم الأربعاء ٢٨ من جمادى الأولى ١٤١٢هـ - ٤ من ديسمبر ١٩٩١م توجهنا إلى "الأحساء" في رحلة جمعت أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد، واستقبلنا الأستاذ "حمد الدعيج وإخوانه" من «الخبراء» استقبال الأخوة والمحبة والكرم، فكانت هذه الأبيات التي نظمتها ونحن في الحافلة نتنقل بين معالم الأحساء ومغانيها، نظمتها بين صرخات الدكتور المشوخي، ومعاكسات الدكتور حامد القنيبي.. وأنا أقدمها كما هي.. لم أتدخل بالتنقيح فيها، إلا في مواضع قليلة جداً.

لولا "القنيبِي" شاغلاً ومعاكسًا
حَرَمَ اليراعةَ فتنةَ الإيناق
بنكاتِه وضجيجِه الحلْو الذي
يعلو على إبداعِيَ الخلاقِ
لوفيتُها مائةً يفيضُ بهاؤُها
عطريةَ النجَواتِ والأعْباقِ

لكنه جهْدُ المُقلِّ بساحِكمْ
بين الكرام وطيِّبى الأعراق

***

إنا لنشكركم من الأعماق
يا إخوةً فى القلبِ والأحداق
"حمدَ الدعيج" وصفوةً مبرورةً
أنعِمْ بخبرتهمْ وبالأخلاق
أحببتُ "ريَّكُم" وحتى "صرفَكمْ"
أحببتُه كمحبةِ العشاق
ولأجله أزريْتُ بالصرفِ الذى
كالنحوِ عايشناهما بخناق
شتانَ ما صرفٌ جرى يحْيى الموا
ت وصرفُ قاعدةٍ على الأوراق
هذا ينظمهُ خبيرٌ ضالعٌ
أما الأخيرُ فصنعَةُ الورَّاق
ولريكم "ريًّا" يفيضُ محبةً
فى فتنةٍ وضاءةِ الإشراق
وتموركمْ كقلوبِكمْ وضاءةٌ
طبَّ القلوب غدَتْ ورُقيةَ راقِ

"حمدُ الدعيجُ" يقول "هاكَ حليبَنا"
فوجدتُه كالتمرِ طيبَ مذاقِ
هذا كما الذهبِ الخلاصِ بَريقُهُ
أما الحليبُ فكالسَّنا البراق
ودجاجكمْ وخرافكمْ وسماطكمْ
قد غُصَّ بالألوانِ والأطباق
إني لأشهد بعثَ "حاتم" في الندى
من فيض أيديكمْ وفي الإغْداق
قد جئتكمْ ضيفًا فصرتُ مُضيفَكمْ
هذا هو الكرمُ النبيلُ الباقي

***

هل هذه الإحساءُ أم ذي جنةٌ
نشوى بفيضِ المنعمِ الخلَّاقِ؟
فهنا النخيلُ يميسُ في خُيَلائه
متمايلَ الأطرافِ والأعناق
ما كان نخلاً بل عذارى بُكرًا
حلَّتْ ولم تَحْرُمْ على المشتاق
قد كدتُ من شغفي أعانقُ قدَّها
لأهيمَ في جوٍّ من الأشواق

وأذوبَ في سَعَفاتِها من لهفتي

فتجيبني بتحيةٍ وعناق

فإذا حياتي نهرُ حبٍّ دافقٍ

وإذا الشبابُ يفيضُ في آفاقي

وأغيبُ في دنيا المحاسنِ والهوى

ما أمتعَ الإغراقَ في الإغراقِ!!

***

يا "صفوةَ الإحساءِ" ألفَ تحيةٍ

تُزْرى بمالٍ هائلٍ وعِتاق

مرَّتْ سُوَيْعاتِي كلمحةِ بارقٍ

ما بينَ أصحاب هنا ورفاقِ

وسويعةٌ في عزةٍ وهناءةٍ

بالعمرِ والأملاكِ والآفاقِ

يا "صفوةَ الأحساءِ" من خبرائها

من كل شهمٍ للعلا سبّاق

طوقتمونا بالمحبةِ والرضى

وأسرتمونا بالندى الغَدَّاق

حتى عشقنا الأسْرَ في ساحاتِكمْ

أنعمْ بهذا الأسرِ والأطواقِ

عشتم كرامًا باذخين أعزةً

في خيرِ عيش مونقٍ وخَلاق

وأكرر الشكرَ الجزيلَ مودعًا

لكنّ إلى أملٍ بطيبِ تلاق

***

– الأعباق: جمع عبق وهو الرائحة الطيبة.

– االرى والصرف هنا منسوب للماء.

– "الريا" الرائحة الطيبة.

– االراقى: من يستخدم "الرقية" للاستشفاء وهى أدعية طيبة مأثورة.

– الخِلاص: النقى الخالص.

– السماط: المائدة.

– العتاق: كرام الخيل.

– الغداق: الكثير. الفياض.

– الخلاق: الحظ والنصيب.

«من شعر المداعبات»

المعلقة الحامدية أو وثيقة الولاء

مهداة إلى أخى وصديقى الأستاذ الدكتور حامد قنيبى
- الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.

تُرجى لخَيْر العَالَمينَ المحامدُ
ويَفْتَح بابَ الشِّعْرِ للشرِّ حَامِدُ
فمنْ ذا الذى أغرَاكَ بالشَّر يا فتى
وأنْتَ بحُضْنِ السِّلم والسَّعْدِ راقدُ
تُشَجعُ قَرّعاوى إذا سالَ شعْرُهُ
وتتْركنى وَحْدِى بشعْرِى أُجاهد
تُهلّلُ إمَّا قال "مَرْحى ومرْحبًا"
وإنْ قلتُ يلْزَمْكَ الصُّماتُ المناكدُ
وتَهْتِفُ إنْ غنَّى "برافُوا أعدْ أعدْ"
وشعرِىَ - إن أنشدْتُ - عندَك كاسدُ

فملْتُ على أُذْنَيك "شجِّعْ قصائدى"

فـإذْ بكَ عـصْـيَـانٌ علىَّ مُـعـانِدَ

فأينَ الحيـادُ العْدلُ يا "ابنَ قُنَيْـبـهـا"

وللعَــدْلِ بابٌ لا يُثَنَّى.. وَاحِــدُ

تحيَّـزْتَ قَصْدًا لا تَقُلْ "غيـر عـامد"

فـقـدْ حَكَمَ "القـاضى" بأنك عـامـدُ

ولم تتـذوقْ شـعـرِىَ الغَضَّ مـثلمـا

تذوق شــعــرى راهفُ الحِسِّ ناقـدُ

وقـد كـان بالحـفْلِ الكريم جَـهَـابذٌ

صـحـابٌ كـرامٌ مُـخْلِصُـونَ أَمَـاجِـدُ

وقـد عـجـبـوا مِـمَّنْ يُخَـاطرُ عـابثًـا

فَـيَـغْـضَـبُ منْهُ جَـابرٌ - وهْوَ مـاردُ

وقالوا: انتحرتَ اليوم يا "ابن قُنَيْبةٍ"

فكيفَ تُعادِى الليْثَ والليثُ رَاصِدُ

***

وأُقْــــسمُ يا وِلْدَ القُنيـــبىِّ أنَّنى

يُقَــيِّـــدُ كَـــفِى عنكَ أنَّكَ وَالِدُ

ولولا فِـــراخٌ زاغِـــبــاتُ حـــواصلٍ

ومِـنْ أجْـلِـهـمْ لـلـهَـمِّ أنـتَ مُـكـابدُ

لكنتُ كما النسْرِ الذى انقضَّ من عَلٍ
على صَيْدِه المسكينِ ثمَّ يُصاعِدَ
فينثرُهُ ريشًا ولحمًا.. وأعْظُما
على سِكَكِ الودْيانِ والموتُ شاهدُ

***

وإن شئْتَ فالرمحُ الرّديني عُدَّتى
ورُمحِيَ شعْرٌ لم تُطقْه الجَلامدُ
يَهبُّ على عاتى الحديد يُذيبُهُ
ويَنْسفُ صُمَّ الصخْرِ والصخرُ جامِدَ
وإن شئْتَ فالخيلُ العتاقُ أَقُودُها
لها القَدْحَ تبكى من لَظَاهُ الفَدَافِدُ
تُغيرُ على "الفاروقِ" والناسُ نُوَّمٌ
فيهْربُ يقظانٌ ويُذْهَلُ راقدُ
ويُصْبِحَ مريخٌ به أنتَ ساكنٌ
حُطامًا كَوَهْمٍ قد تَوهْمَ سَاهِدُ
فليس يُرَى إلا لهيبٌ مُدمِّر
ودم وأشْلاءٌ وسيفىَ حَاصِدُ
هو الجاحم المسعورُ مثلُ جهنّمٍ
فلا هو شبعانٌ ولا هو خَامِدُ

ويســألُ من فَــرَّوا عن الخبــر الذى
تُســائلُ عنهُ فى الســمــاءِ الفــراقــدُ
فــيأتى الجـواب الحقُّ "ابن قُنَيْـبـهـا"
رأى الحقَّ لـم يَصْـدعْ وعنـه يُبــاعـدُ
فـشـجَّعَ "قـرعـاوى" وأهملَ جـابرًا
وهلْ ينكرُ الآســادَ منْ هـو راشــدُ؟
فـأعلنهـا شـعـواء عـمت بكـربهـا
ليــؤخـذ مظلوم بما جـر حــامـد"

***

ولن أعْـفـوَنَّ اليــومَ عنكَ ولا غـداً
وإنِّى على هَذِى العـزيمـةِ عـاقـدُ
يصيدُك شِعْرِى فى غيابٍ وحَضْرةٍ
وليسَ كشـعـرِى للمـعـانِد صـائدُ
وإنْ رُمْتَ عـفْـواً شـامـلاً من جَنابِنَا
فَنَفِّــذ مطالبَنَا، وحــاذرْ تُعــانِدُ:
تســدِّدَ عنى مــا يطالبُ "نـاصــرٌ"
ويطلب "مشْيُوخِى" وعمُّك "خَالدٌ"
مـئـاتِ الريالات التى يَجْـمعونَـهـا
طريفًــا تقــاضَــوْهُ.. ومــا هوَ تـالدُ

وتذبحُ كبشًا مُعْرِقَ الأصْلِ أقْرنا
أبوهُ على غَنَم "المليحى" سائدُ
وتكتبُ صكًّا بالولاء ونصُّهُ
"بأنَّك للتشجيع لا لا تُعاوِدُ
تشجع شعرِى لا تشجّعُ غيرَهُ
وتتركُ قرعاوى وما هو نَاشِدُ"
وتذكرُ فيه ما يزيلُ حَفيظتى
وأنى لمجْد الشِّعْرِ بَانٍ وَشَائدُ
وأنكَ لم تسمعْ من الشعرِ مثلَهُ
وأنَّ قَصيدى فى القَصيدِ فَرائدُ
وفى كلِّ درسٍ فى الفصولِ تُشيد بى
وتذكُرُ أنِّى فى حِمَى الشِّعْرِ رَائدُ
وَذَلكَ أجْدَى للتلاميذ إنْ دروْا
فكلٌّ من الطُلابِ عِنْدك فَاقِدُ
وتَختمُ بالتحميدِ لله شاكراً
وتَمْضِى بلا دكتورِ "ابنُك حامِدُ"

***

وإن خُنْتَ بَنْدًا من بُنودِ اتفاقِنا
فليسَ سوى ما قدْ أذقتُك عائدُ

وســاعـتَـهــا تبكى عليكَ ثَواكلٌ
ويَبْكيكَ منا مــســتــقِــرٌ ووافــدِ
وأبكى دَمًــا بدلَ الدمــوع تأسُّــفًــا
فَـحــزْنى غَـلابٌ، وصــبــرِىَ نَـافِـدُ
عليك ســلامُ الله فى الخُلْد حــامِـدٌ
وهـذى مَــراَثِىُّ البــواكى قَــلائدُ

***

شرح بعض الكلمات:

قرعاوى: هو الدكتور حسن قرعاوى (أبو محمد)، وهو شاعر ومن زملائى فى جامعة الملك فهد بالظهران. وكذلك الدكتور حامد قنيبى.

إشارة إلى ما كان يقوم به د. قنيبى بالتهليل لشعر د. قرعاوى وسكوته عن شعرى (من باب المعاكسة)، وذلك فى الأمسيات الشعرية التى كنا نقيمها بالجامعة.

د. القاضى أحد زملائنا فى الجامعة.

الفدافد: الصحارى. جمع (فدفد).

الفاروق: حى سكنى بالجامعة وكذلك حى "المريخ".

ناصر والمشوخى وخالد: زملاؤنا، كانوا يقومون بجمع تبرعات من الأساتذة.

"المليحى: موظف إدارى بالجامعة، صاحب مراع وتاجر خراف مشهور.

النبرة غلط..

يلاحظ القارئ أن للقصيدة وجهين مختلفين: وجهًا يساير الهوى والرغبة البشرية. ووجهًا عاقلاً متزنًا يساير القيم الدينية والعقلية والتربوية السليمة السديدة، وهذا هو الهدف الأصلي من القصيدة.

قالت "ألُوه" برقّة

تُنسيكَ صوتَ العنْدليبْ

"قل لي: أأنتَ هنا شبيبْ؟

كم ذا أحبكَ يا شَبيبْ!!"

غيرتُ صوتي كالشبَا

ب، وقلت "ها إنّي شبيبْ"

قالتْ "فمعذرةً حبيـ

بي، فالرقيبُ هو الرقيبْ

لم أتّصِلْ بالأمسِ خَوْ

فًا منْ أخي الفظِّ الغَريبْ

إذْ صَادَرَ "التلِفَون" تحـ
ـتَ يديه في رَغْي مُريبْ
أنا لم أسَلْهُ عَن التي
أبْكَتْهُ بالدمْعِ الصَّبيبْ
عجبًا، ويسألُ مَنَ أُحدٌ
ثُ من بَعيدٍ أوْ قَريبْ
أمِنَ العدالةِ يَسْتَحـ
ـلُّ لنفْسِه ما يَستطيبْ
وعَلَيَّ حَرَّمَ خِدمةَ "التـ
لفونِ" يحضرُ أو يغيبْ
إيه أتسمعُ ما يقو
لُ القلبُ يا أغلى حبيبْ"؟
ووجدتُني من صَمْتيَ الـ
مخْزِي إلى عقْلي أثُوبْ
"أنا يا بُنيَّةُ لست مَنْ
تَبْغينَ، لستُ أنا شَبيبْ"
"من أنتَ يا هذا إذنْ؟"
"لا تفْزَعي.. إنِّي شَيِبْ"
"الشيبُ يعلو مَفْرِقي
والعمرُ قاربَ أن يغيبْ

والـــرقْــمُ لــيــسَ الــرقْــمَ لـــ
ـكنْ لا تـخـــافى من رقـــيـبْ"
قـــالتْ "فـــإنّ الشـــيْبَ ضـــدُّ
الحـــبِّ.. بـــل خَـــطــرٌ رهـــيـبْ
دَعْنـى إذنْ لحـــبــــيــب قلْـ
ـبى فـــالحـــيـــاةُ به تَطيبْ
وبغـــيــــرِهِ الدنْيـــا ســـوا
دٌ والخـــصـــيبُ بهـــا جَـــديبْ".
قلتُ "اســمَـعى ليكنْ حــبــيـ
ـبَك ولأكُنْ لكمـــا طَبـــيبْ
إنْ عَـنَّ خـطـبٌ أوْ سُـــــؤا
لٌ فـــاســـألاَ، وأنا أُجـــيبْ"
فـــأنا الخـــبــيـــرُ بكلِّ شىْ
ءٍ ســـيَّـــمـــا طبُّ القلوبْ"
قـــالتْ "طبـــيبٌ؟" قلتُ "كـــلا
.. إنمـــا قَـــلْـــبـــى .. يَـــذوبْ"
قـــــالتْ "فـلِـمْ لا .. لا تـدا
وى قـلْبَـكَ العــــانـى المذُوبْ
هـــلْ يُـعْـطِـىَ المســلـوبَ مَـنْ
لا يـمـلِـكَ الـشـىءَ السَّـلـيـبْ؟"

قلْتُ "اصـــبــــرى، أعْنـى يذو
بُ الـقـلـبُ مـنّـى فـى القَلـــوبْ
إن ضَـج جُـــــــرْحٌ فـى الـقـلـو
بِ غـــدا بقلبى.. كـــاللهــيـبْ
وأعــــيـشُ نَـبْـضَ العــاشـــقــيـ
ـنَ أعــــــانـقُ الأمـلَ الـرطـيـبْ
فـــإذا اســـتــبــدَّ بهمْ سُـــهــا
دٌ عــــشْـتَ ليلَهمُ الـكـئـــيـبْ
وإذا الســــعــــادةُ عــــاودَتْـ
ـهُمْ عِـشْـتُ فى فَـرَحٍ قـشـيـبْ
فـــأنا أشـــارِكـــهمْ سَــعَـــا
دتـهُـمْ وكَــــــرْبَـهُـمُ الـكَـرِيـبْ
فـــيــجىءُ طِبىٌ.. ناجـــعـــا
لا يســــتكينُ.. ولا يَخـــيــبْ"
ســـألَتْ "فــهَـلْ أحــبــبْـتَ"؟ قلْـ
ـتُ "بل احـتـرقْتُ مِنَ الحـبـيبْ"
قـــــالتْ "حـــــديـثُكَ طـيِّـبٌ
يـا لـيـتَ لـى منْـهُ نـصــــــيـبْ!!
إنّـى أحِـسُّ بـه عَـــــــبـــــــيـ
ـــراً فــى حَـنَـايَـاىَ.. وَطـيــبْ

وأحِـــسُّ قـــلـــبـــى الآنَ يَـــنْـــ
ـبِضُ نَغْـــمَـــةً نَشْـــوَى طَروبْ"

فـــأجـــبـــتُـــهـــا "نفسَ الشـــعـــو
رِ أحسُّ مـــــا أنـا بـالـكَذوبْ"

قـــــالـت "أحسُّ بـهـــــاتِفِـى
يَهْـتَـزُّ من فَـرْط الشُّـبُـوب"

فـــأجـــبـــتُـــهـــا "ذا هاتفى الـ
ـمـــسكينُ من لَهَـــفى يَذوبْ"

قـــــالـت "أكـــــادُ أراكَ فـى
قلبِى كـمـــا الروضِ الخـصــيبْ

حــــقًّــــا، لقـــد أنْسَــيْــتَنِى
ذاك الـذى يُدْعَـى شـــبـــيـبْ

فـأنا أحبُّكَ "قلْتُ" "والشَّـيْبـاتُ؟"
"قـــــالـتْ" لا تَـعـــــيـبْ

فــالـشـــيبُ فى رأسِ الحـــبـــيـ
ـبِ كـمـــا الشـــروقِ أو الحليبْ

مـــــا رقْمُ هاتِفـك الحـــبـــيـ
ـبِ ببـيـتكَ السـمح الرحـيب؟"

فـــأجـــبتُ "سِكْسٌ فُـــوُرسكْـ
سٌ" "تُو" تَليــــهـــا فى رتُوب"
قـــالـتْ "أَخِى بـالـبـــاب مـــعـ
ـذرةً، أُتـلْـفِـنُ عـنْ قــــــريـبْ"
ويمـــــرُّ شــــهـــــرٌ فى انـتـظا
رِ رنـينِ هـاتِـفِـــهـــا الرَّغــــيبْ
إنْ رَنَّ هـــاتِــفُ مــنـــزلـــى
أســرعْتُ كـــالريح الهَــبُــوبْ
لا ليْسَ ذا صـــوتَ الفـــتـــا
ة فـصْـــوتُـهـــا.. كـــالعَنْدليبْ
بــلْ إنّـه صــــــــوتٌ أجـشٌ
مـن زمــــــيلٍ أو قـــــريبْ
ويـكـادُ يـقـــــتـلـنى انـتِـظـا
رِى فى اشـتـيـاقٍ كـاللهـيبْ
أتَرى ســأســمعُ صــوتَهـــا؟
ســبــحـــانَ عـــلامِ الغـيـوبْ

***

«القصيدة في صياغة أخلاقية هادفة»

قـــالتْ "ألوُه" بـرقـــة
تنْسيكَ صوتَ العندليب
"قل لى أأنتَ هنا شـبيبْ؟
كم ذَا أحبُّكَ يا شـبيب
إيهِ أتسمعُ ما يقول القلْبُ
يا أغلى.. حَبـيبْ؟"
"أنا يا بنيّةُ لسْتُ من
تَبْغينَ لستُ أنا شَبيب"
منْ أنت يا هذا إذنْ؟
"لا تفزعى إنّى شيبْ
الشيبُ يعلُو مَفْرِقى
والعمرُ قاربَ أن يغيبْ
والرقْم ليس الرقمَ لكنْ
لا تخافى منْ رقيبْ"
قالت "فإنَّ الشيبَ ضدُّ
الحبِّ.. بل خَطَرٌ رهيب
دعْنى إذن لحبيب قلْـ
ـبِى فَالحياةُ به تَطيبْ
وبغيرِهِ الدنيا سوا
دٌ والخصيبُ بها جديبْ"

فأجبتُها "ذا ليس حبًّا
إنما عبثٌ.. مَعيبْ
الحبُّ ليس علاقةً
ما بينَ أرنبةٍ وذيبْ
الحبُّ يا بِنْتى سموٌّ
بالمشاعرِ والقلوبْ
الحبُّ صونُ العرْض والـ
ـأخلاقِ من عبث المريبْ
ما كانَ يومًا من محبـ
ـك المداعبُ والكَذوبْ
قالتْ "فغيرك قد أشا
دُوا بالحبيبةِ والحبيب
ودعَوْا إلى الحبِّ العمـ
ـيقِ كما أراهُ فى شبيبْ
فأمينة بنتُ السعيـ
ـدِ تقولُ من عهدٍ قريبْ
إن الفتاةَ بلا صديـ
ـقٍ مثلما القفرِ الجديبْ"
فأجبتُها "لا تأخُذى
من مِثْلها النُّصْحَ المُصيبْ

وخـذى النصيحةَ منْ أب
مثلى، وحسْبُك من لبيبْ
واللهُ خيرٌ حافظًا
فهْوَ المراقبُ والحسيبْ
فإذا أتاكِ الهاتفُ الـ
مَلْعونُ بالرَنِّ الكئيبْ
لا تهْرعى للهاتف الـ
لاهِى فلَيْسَ هو الطبيبْ
قالت " تهيجُ مشاعرى
وأحسُّ فى قَلْبى لهيبْ"
قلت " الدواءُ الحقَّ بيـ
ـنَ يديكِ يا بنْتى قريبْ
أعنى به القرآنَ فهْـ
ـو شفاءُ أمراضِ القلوب
فيه ربيعُ الروحِ والـ
إحسانُ والحق الخصيب
فى سورة النور السنيّـ
ـة سوفَ تلقيْن النصيبْ
وبمريمِ الطهرِ البتو
لِ نموذجًا حَيًّا وطِيبْ

وتـذكَّـــــرى منْ لا يـمـــــوت
ولا يـنـامُ ولا يـغـــــــــيـبْ
عـــــلامَ خــــائنـةِ العــــيـ
ـونِ وكل مــا تُخْـفى الغـيــوبْ"
قـــالـتْ "كـــلامُكَ حكـمـــةٌ
وكـــأنَّه ســـحْـــرٌ عـــجـــيبْ
وأحـــسُّ نـــوراً فـــى دِمـــــــا
ى وفـى الـفــــــؤادِ لـه دبـيـبْ
وأعـــــاهـدُ اللـهَ القـــــد
يـرَ بـأن أدوسَ عـلى شـــــبـــيـبْ
وأقـــــاطـع التـلـفــــونَ إلا
فـى المصـــــالحِ والمُصـــــيـبْ
وأقـــولُ فى عـــزْمِ التـــقَى
إنِّـــى إلـــى ربـــى أتـــوبْ
ســـبـــحـــانهَ فـــهْـــو الكريـ
ـمُ الســـمح غـــفـــار الذنوبْ

ملاحظـــة :

فى البيت ٤٥ إشارة إلى رقم تليفونى، وكان : ٦٤٦٢ (6462).

إلى أحمد أول أحفادي

أتيتَ بعدَ انتظارٍ
قاسٍ طويلٍ مَريرِ
بحَرِّهِ المُتَرامي
وبرْدِهِ الزمْهَريرِ(١)
فالأمُّ تُمْضي الليالي
ثقيلةً كالدُّهُورِ
وَهْنًا على الوهْنِ قاسَتْ
في تسعةٍ مِنْ شُهورِ
وأنْتَ في غيباتٍ
كالحالكِ الدَّيْجُورِ(٢)
فَمَنْ هداكَ لتُغْذى
وأنتَ غيرُ بَصيرِ
ومَنْ سقاكَ شرابًا
في غيرِ كأسٍ دَرِيرِ(٣)
وأن تنامَ عميقًا
نوْمَ السعيدِ القَريرِ

كأنما أنْتَ فيها
على فراش وثير
وأن تشق طريقاً
من ظلمة للنور
من عالم كنت فيه
فى ضَيِّقٍ محْصُورِ
لعالَمٍ صِرْتَ فيه
فى راحب مُسْتَنير؟
فجئتَ خيرَ دليلٍ
على الحكيمِ القديرِ
وصاغك الله ربى
فى أحْسَنِ التصْويرِ

***

بُنَىَّ أحْمَدُ مَرْحَى
يا زَهْرةً مِنْ نُورِ
يا قطعةً من فؤادى
وبْسمَةً فى ضَميرى
أضأْتَ دربَ حَياتى
ملأْتَهُ بالبُدورِ

وَبَيــتُنا صـارَ دُنْيَـا
مـن فـتنـةٍ وسُـرورِ
وروضـةً مـن جَـمَـالٍ
تُـزْهَـى بـكـلِّ نَـضـيـرِ
ومـاؤُنَا صـارَ صَـفْـواً
بـلا قَـذىً أو عُـكُـورِ(٤)

***

إن صـحْت "واوًا" سـمـعْنا
لحْـنًا سَـرَى فـى البُـكـورِ
يَـفُـوقُ كـلَّ جَـمـيـلٍ
حـتى أغـانـى الطـيـورِ
أو ابتـسـمْت رأيْـنـا
كـلُـؤْلـؤٍ مَـنْـثُـور
أو فـاضَ رِيقُـك حَـاكَى(٥)
نـدىً بـوجْـه الـزُّهـورِ
وإن هَـزَزْتَ رفـيـقـا
مَـتْنَ الـسـريـرِ الوثيـرِ
رأيـتُ فـيـكَ مـلاكًـا
فـى مـوجـةٍ من حَـريـرِ

***

يا أحـمـدَ الخـيـرِ مَـرْحَى
يا بَسْـمَـتِى وَبشـيـرى
سُـمِّـيتَ أحـمـدَ يُمْنًا
باسم البـشـيـرِ النذيرِ
تُرَى غَـداً هلْ سـتـغـدو
مـنْ جُـنْـدِهِ المبْـرُورِ؟
علـى هُداهُ سـتـمـضى
مُـبـاركًـا فى المسـيـرِ؟
وتسـتـجـيبُ لداعـيـ
ـهِ إنْ دَعَـا للنَّـفـيـرِ
بعـزمَـةٍ لا تُبـارى
وهمَّـةٍ كـالسَّـعـيـرِ
وعُـدّةٌ مـن يَقـيـنٍ
فى فَـيْـلَـقٍ مَنْـصُـورِ
بشـرعـةٍ لا تُسَـامَى
ومَنْـهَجٍ مـعـمـورِ
لا يسـتـوى الظلُّ فـيـهـا
معَ الهَـجـيـرِ الحَـرور(٦)
ولا الضَّـريـرُ تـسـاوى
بالمسـتـقـيم البَـصـيـرِ

ولا العليم تساوى
بالجاهلِ المغْمُورِ؟
غدًا ترى يا حبيبى
كم ضاربٍ كالضَّريرِ
يمضى أسيرَ الدنايا
أقْبحْ بِهِ مِنْ أسيرِ
وكم دَعِيٍّ تَسَامَى
فى عالمٍ مَنْكورِ
وأرْضُنا كيفَ مَادَتْ
من طامعٍ مَسْعُورِ
ومن جهُولٍ لئيمٍ
منافقٍ وكَفُورِ
ومن ضَلالٍ خَفِيٍّ
وآخرٍ مَنْظُورِ
فكنْ على الدّربِ نَجْمًا
يَمْضِى أبِيَّ المَسيرِ
وكُنْ عزيزًا طَمُوحًا
مُحَلِّقًا كالنسورِ
وكُنْ لدينكَ دِرْعًا
عَنْدَ الصِّدام الخَطيرِ

***

غــــداً ســـــتَـنْـمـــــو وتَـدْرى
مـــــا حُـــــمِّلتْـــــهُ سُطـورِى

وكـــلُّ حــــــــــــرفٍ تــراهُ
ســــجَّلتْـــــهُ بشــــعـــــورى

يا أحـــمَـــدَ السْـــعــــدِ مـــرحى
يـا نعْـــــمَـــــتى وسُـــــرورى

لأنْـتَ نِـعْـمَ الـهَـــــــــــدَايـا
مِنْ خَـــيْـــرِ مَـــوْلى نَصـــيـــر

***

من معانى المفردات :

(١) الزمهرير : الشديد البرودة .

(٢) الحالك الديجور : الليل الشديد الظلام .

(٣) كأس درير : كأس ممتلئة .

(٤) القذى : ما يقع فى الشراب أو العين فيؤذيها .

(٥) حاكى : شابه .

(٦) الهجير الحرور : الحرارة الشديدة .

أعياد البحيرة

ألقاها الشاعر فى عقد قران بنتنا رفيدة مصطفى رسلان فى مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة، مساء الاثنين ٢ من شوال ١٤٢٥هـ - ١٥ من نوفمبر ٢٠٠٤م.

قالت أطلّ العيد والعيد مُسعِدٌ
بكل معانى الحب والود يزخر
تواصلُ أرحامٍ وتقوى وفرحةٌ
وفى كل نفس منه صفوٌ معطر
فحقك أن أُهديكَ أمتع وجبة
ستزهو بها في العيد دومًا وتفخر
ويعجز عن وصف لها كل شاعر
جرير وأعشى والكميتُ وعنتر
ففولٌ وجرجير وصحنُ بصارة
وطعميةٌ من سحرها هي عنبر
وشربةٌ عدْس من يراها يظنها
مَذُوبَ نضارٍ وهْى حقًا لأنضرُ
لذلك قالوا كهرمانٌ وإنه
من الكهرمان الحر أبهى وأشهر

وجنٌ قـريشٌ غـيـرُ طرشى وعـجّـةٌ
تكاد مَن السـحـر الفـتـين تُنوِّر"
وفى العـدس والفـول المزايا جـمـة
حـديد وفـيْـتـامـينُ للعظم يجـبـر
فـقـلت: ذرينـى اليـوم يا أم سـامحٍ
فـأكلك "عـيّـانى" لذا منه أنفـر
فـعـدسك غـشـانى وفـولك راعنى
فـصـرت كـأنى للمنيـات أنظر
فـحـتـام أبقى رهن أكلِ مـهـمشٍ
سـواء أأرضَى أم من الجـوع أُجبـر ؟
فـهـلا ذكـرت اللحمَ فـاللحمُ سيـدٌ
أنسـتـبـدل الأدنى بما هو خـيـر ؟
لذا عـاقب الله اليهودُ ـ وقد عَصَوْا ـ
بفـــولٍ وعـــدس بالمذلة يَقطر
ذرينـى فـــإنـى بالحنيـن لَـذاهبٌ
إلى "مـصـفـى رسـلانَ" لا أتأخـر
دمنهـور نادتنى وإنى أحـبـهـا
فـأقـسـمت أنى عـاشقٌ و"مُـدمـهـرُ"
هنالك عـيـدان: عـقـدُ رفـيـدةٍ
وعـيـد به كل الخـلائق تُفْطِر

وقـد عـشـت لا أمـضى لأى ولـيـمـة
ولو قـد دعـاني للوليـمـة قـيـصـرُ
ونَـقْـبـل لـلأحــبــاب كلَّ ولـيــمــة
ولوكـان مـا فـيـهـا فـتـاتٌ مكّسـر
ذرينى رعـــاك الله يا "أم ســـامحٍ"
ألبى نـداء الأكـــرمــيـن وأفــخـــر
رُفـيـدةُ رسـلانُ الجـمـيلة كـابنتى
وعن عـقـدها الميـمـون لا أتأخـر

***

غـداءٌ هنالك فى النقـابة فـاخـرٌ
مـوائدُ خـرفـانٍ عليـهـا تُبـشّـر
تربتْ على الغالى بأرضِكَ مصطفى
وإنك أنت العـالفُ المتـحـضـر
شـــواها طهـــاةٌ مـــاهرون لأكلنا
عـشقتكِ يا خرفانُ حسنك مُسْكر
يســيـل لعــابى إذ أشم شـــواءها
عـبـيـرٌ لعـمـرى رائقٌ ومـعطر
فـقـالت : رويداً ذاك وصف مـجـردٌ
خـيـال وأحـلام وشـعـر يُصـوِّرُ
فـأنتـم "أيا إخـوانُ" أهلُ تقـشـفٍ
طعـامكمـو من ذاك أدنى وأيســر

طعـــام الرجـــالِ الزاهدين تـطلعــا
إلى مُـتَع الأُخـرى التى هى أنضـر"
فـقلت لهـا لا تعـجلى أم ســامح
يقـــيني بأن الحقَّ مـــا أتصـــورُ
فليس بحلم أو خـــيـــال منمَّق
فـإنى بأبناء البـحــيــرة أخْــبــرُ
هو المصطفى رسلانُ سمح كحاتمٍ
فكم ذا يُضـحى بالكبـاشِ وينحـرُ
ويعلم أنِّى بالخـراف خـبــيــرُها
وليس من الإخــوان من هو أخـبــر
وأعــرف منهــا كل جـــزء وقطعـة
ولـم أرَ منهـم مـن لـعلـمى يـنكـر
فـبـيتُ كـلاوى والعكاوى ومـوزةٌ
وسنٌّ وقصٌّ والســمــينُ وأحْــمــر
ومنهـــا الذى يدعـــونه بملبَّس
وبهــريزها يحــيى الموات وينشــر
ومنديلهـا فى الطرْب مـتـعـة آكل
على الفحم يندى فهو أحمر أشقر"
فقالت فماذا لو وجدتَ سماطَهم
بخـــبــز وأرزٍ والســـلاطةِ يزخـــر
وبعضًا من البفـتيك غيـر أصـابع
من الكفتة الرعناء فى العين تصغر

وأما الكباب الفذ فهو بغيبة

فليس له فوق الموائد محضر

فقلتُ: لها لا ضير إنى لكاسب

على أىِّ حالٍ لا أُضام وأخسرُ

وكل كثير إن يضل فضائع

وكل قليل بالمحبة يكثر

وخير كسوبِ العمر رؤيةُ إخوة

بهم دعوةُ الإخوان تعلو وتُنصر

وقد ألف الله الكريم صفوفهم

فهم فى سماء الحق للناس أقْمُر

يرون نظام الله دينا ودولة

وفى ساحة الرْوع المرِّوع حُضر

حياة جهادٍ دائب ليس ينطوى

على درعه كل الجبابر تكسر

خلاصةُ أمرى أن أقول مفاخراً

ثلاثة أعياد هنا اليوم نحضر

لفطر، وعقد، ثم لقيا أحبة

وحبهمو فى القلب ثاوٍ مُجذَّر

ولولا عروس اليوم ما كان جمعنا

هنيئًا لكم يا آل رسلان أبشروا

***

الشاعـر فـى سطـور

• دكتور جابر قميحة

- من مواليد مدينة «المنزلة» بشمال دلتا النيل بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٣٤م.

• حاصل على المؤهلات الآتية:

- ليسانس دار العلوم التربوى من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.
- ليسانس الحقوق - من كلية الحقوق - جامعة القاهرة.
- دبلوم عال فى الشريعة الإسلامية - من كلية الحقوق - جامعة القاهرة.
- ماجستير فى الأدب العربى الحديث من جامعة الكويت.
- دكتوراه فى الأدب العربى الحديث - من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

عمل بالتدريس فى الكليات والجامعات الآتية:

- كلية الألسن - جامعة عين شمس.
- جامعة (يل) Yale بولاية (كنكتكت) بالولايات المتحدة.
- الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (قسم الدراسات الإسلامية والعربية) - الظهران - المملكة العربية السعودية.

• حضر كثيراً من المؤتمرات العالمية، ومنها:

- مؤتمر الشباب العربى بمدينة (سبرنج فيلد Spring Field) بالولايات المتحدة.
- مؤتمر شباب الجامعات الإسلامية بإسلام آباد.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية - باسطنبول - تركيا.
- مؤتمر «ظاهرة ضعف اللغة العربية فى التعليم الجامعى» جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية بالدار البيضاء بالمغرب.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامى العالمية بأغادير بالمغرب.

• عضو فى:

- اتحاد الكتاب المصريين.
- رابطة الأدب الإسلامى العالمية.

• الكتب المطبوعة:

١ - منهج العقاد فى التراجم الأدبية.
٢ - أدب الخلفاء الراشدين.
٣ - أدب الرسائل فى صدر الإسلام.
٤ - التقليدية والدرامية فى مقامات الحريرى.
٥ - صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم.

٦ - الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود، أو: ملحمة الكلمة والدم.
٧ - التراث الإنساني في شعر أمل دنقل.
٨ - في صحبة المصطفى.
٩ - المدخل إلى القيم الإسلامية.
١٠ - المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق.
١١ - الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف.
١٢ - آثار التبشير والاستشراق في الشباب المسلم.
١٣ - الزحف المدنس (ديوان شعر).
١٤ - لجهاد الأفغان أغني (ديوان شعر).
١٥ - حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري (ديوان شعر).
١٦ - لله والحق وفلسطين (ديوان شعر).
١٧ - أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية.
١٨ - الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل.
١٩ - رواية وليمة لأعشاب البحر: في ميزان الإسلام والعقل والأدب.
٢٠ - أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني.
٢١ - الابتلاء وأثره في حياة المسلمين.
٢٢ - عزة المسلم.
٢٣ - فلسطين.. مأساة ونضالاً في شعر الشباب.
٢٤ - على هؤلاء بشعري بكيت (ديوان شعر).
٢٥ - محكمة الهزل العليا (مسرحية شعرية).
٢٦ - أسماء الله الحسنى (ديوان شعر مترجم عن ديوان:
To God Belong THE NAMES MOSTBEAUTIFUL: للشاعرة الباكستانية:
(NEYYAR EHSAN RASHID)

• البحوث المنشورة في مجلات:

- عشرات من البحوث والمقالات نُشرت في المجلات الآتية:
١ - مجلة الدارة (سعودية فصلية محكمة).
٢ - مجلة الدراسات العربية (مصرية فصلية محكمة).
٣ - مجلة الدراسات الإسلامية (فصلية باكستانية محكمة).
٤ - مجلة الشعر (مصرية شهرية).
٥ - مجلة الفيصل (سعودية شهرية).
٦ - مجلة الحرس الوطني (سعودية شهرية).
٧ - المجلة العربية (سعودية شهرية).
٨ - مجلة المنهل (سعودية شهرية).
٩ - مجلة الوعي الإسلامي (كويتية شهرية).
١٠ - مجلة المجتمع (كويتية أسبوعية).
١١ - مجلة المنتدى (تصدر في دبي - شهرية).
١٢ - المسلمون (سعودية أسبوعية).
١٣ - مجلة القدس (القاهرة - شهرية).
١٤ - مجلة الزهور (القاهرة - شهرية).
١٥ - مجلة الرسالة (القاهرة - فصلية).

والحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب

* *